العهد الأبدي

الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

اسم الرواية: العهد الأبدي

اسم المؤلف: علي حسن

التدقيق اللغوي: آية أحمد

تصميم الغلاف: محمد دربالة

الإخراج الداخلي: خالد محمود

رقم الإيداع: ٢٠٠٢٠ / ٢٠٢٢

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٨٦٢٧٢-٨-٢



 ش- حسن خطاب - قسم يوسف بيك - الزقازيق - الشرقية

 01020439639

 massar.pub1@gmail.com

العهد الأبدي





إهداء

هذه الرواية لكل من أتيحت له الفرصة في أن تكون بين يديه..

عزيزي القارئ أتمنى لك مغامرة مثيرة وممتعة في قلب هذه المدينة وعهدها الجديد يسعدني أن تتوه وسط كل هذه الأرواح التي جعلت من الرماد جنة يعيش بها الجميع..

كما أهدي هذا العمل إلى روح أبي الغالية متمنيًا له المغفرة والرحمة وإلى روح ابن عمي كريم داعيًا الله أن يتغمده برحمته الواسعة.

المقدمة

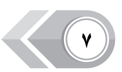
العهدُ الجديدُ قد بدأ.

أصبحَ سامر يعرفُ المزيدَ عن المدينةِ وأسرارِها، ويمتلكُ ما بداخلِ الصندوقِ، رُبَّما وصلَ لنقطةِ النهايةِ في البحثِ عن الإجابات، ونقطةُ البدايةِ في حكمٍ جديدٍ وقوةٍ جديدةٍ.

مدينةُ العهودِ سوفَ تتغيَّرُ كثيرًا، رُبَّما لن تبقىٰ خردلةٌ ثابتةً في مكانِها!

سامر الآن لم يُصبح ملكًا لمدينةِ العهودِ وحسب؛ ولكن أصبحَ بحوزتِه تاريخٌ سابقٌ، ومستقبلٌ سيُكتَبُ بقبضةِ يدِه.

رُبَّما حكمَ القدرُ على سامر أن يتوارثَ ما لم يتوارثْه



أحدٌ من قبلُ، وهو حكمُ مدينةٍ تسكنُها أرواحٌ من الجنِّ، ورِثَها عن الشَّيخ خليل، ولكن، أنا الآن أرىٰ سامرًا آخرَ؛ لم يعد سامرًا الذَي كان يخشىٰ حتىٰ النظرَ إلى المدينةِ أو لأسوارِها السوداءِ، أرىٰ سامرًا يعرفُ قدراتِه، ويمتلكُ الكثيرَ من خبايا وأسرارِ مدينةِ العهودِ، والتي تجعلُه أعظمَ مَن وقفَ على قمَّةِ الجبلِ الأسودِ، وهو الجديرُ بأن يكونَ صاحبَ العهدِ الأبديِّ.

فلنبدأ في مغامرةٍ مليئةٍ بالإثارةِ والاستمتاع بمعرفةِ المدينةِ أكثر؛ لتصبحَ _وأنتَ في مكانِك_ تمتلكُ أرَواحَهم.

فلنذهب حيثُ كنَّا نقفُ عند قمَّة الجبلِ الأسودِ، حيثُ بدايةُ عهدٍ جديدٍ.

بعدَ أن انفتحَ الصندوقُ، علمَ سامر كلَّ ما يبحثُ عنه، كان عليه العودةُ إلى أُميمةَ، ولكن، لا مزيدَ من الوقتِ ليضيعَ.

عادَ إلىٰ مدينةِ العهودِ، لم ينتبه أحدٌ لوجودِه، ذهبَ بمفردِه إلى قمَّةِ الجبلِ الأسودِ، صعدَ الجبلَ حتى وصلَ إلى القمَّة، كانت الأَرواحُ تتطايرُ من حولِه، كان يرىٰ المشهدَ الذي تنصُّ عليه اللَّوحةُ، والورقةُ التي وجدَها في الصندوقِ.

كان شاردَ الذهنِ فيما يدورُ، حتى قطعَ هذا المشهدَ خيالٌ ضخمٌ وراءَ ظهره، فنظرَ خلفَه، فإذا به يرىٰ شخصًا عملاقًا له أنيابٌ بارزةٌ من فمِه، شعرُه كسلاسلَ من نارٍ، ويتوسَّطُ وجهَهُ عينٌ واحدةٌ.

***

شكلُه مرعبٌ، لكنَّ المرعبَ حقًّا أنَّ سامرًا لم يتعجَّب

أو يُدهَش!

بعد أن نظرَ إليه كثيرًا، قال: الآن، أنا أرىٰ الصوتَ الذي جلبَ لي كلَّ هذه المتاعبَ، أرىٰ حارسَ مدينةِ العهودِ.

نطقَ الحارسُ: لا يراني غيرُكَ يا مولاي.

صمتَ سامرُ، ثمَّ قال: الآن، اتبعني؛ أصبحتُ أعلمُ ما لا تعلمُه أنت.

وصل الاثنان إلى صخرةٍ سوداءَ لامعةٍ، مسحَ سامر ما عليها من غبار، حتى بدأ يظهرُ وشمُ المدينةِ جزءًا تلو الآخرِ، ثمَّ أمرَ الحارسَ أن يُحرِّكَه عن موضعِه، فاهتزَّ الجبلُ مُفزعًا الحارسَ، وسامرٌ واقفٌ لا يخشىٰ شيئًا.

***

انشقَّت قمَّةُ الجبلِ، وخرجَ منها كرسيٌّ يبدو أنَّه مصنوعٌ من عظامٍ بشريَّةٍ، وعن جانبِ الكرسيِّ، كان

التَّاجُ الذي تركَه سامر في الصندوقِ، وسيفٌ يبدو من شكلِه وحجمِه أنَّه يصعُبُ على سامر حملُه، ولكن ما حدثَ كانَ العكسَ؛ حيثُ توجَّهَ سامر إلى الكرسيِّ، ثمَّ ارتدىٰ التاجَ، وحملَ السيفَ بمهارةٍ عاليةٍ.

كان الحارسُ يتابعُ ما يحدثُ في شغف، حتى جلسَ سامر على كرسيِّه، فانحنىٰ الحارسُ تعظيمًا له.

تأكَّدَ سامر من حقيقةِ كلِّ ما هو مكتوبٌ في اللَّوحةِ والورقةِ التي كانت مطويَّةً داخلَ الصندوقَ، ثمَّ هبطَ عن الجبلِ ذاهبًا إلى القصرِ، بعد أن أبلغَ الحارسَ أن يُخبرَ الوزراءَ وكبارَ المدينةِ أنَ يأتوا، وعلى رأسِهم المُعتصمُ قائدُ الجيشِ، فأشارَ الحارسُ برأسِه موافقًا، وانصرف.

***

دخلَ سامر القصرَ، فاحتضنتْهُ سارة بشوق كبير، ولكنَّه لم يعد يهتَّمُ بكلِّ تلكَ المشاعر؛ يبدو أنً سامرًا أصبح يعرفُ ويعي جيدًا قدرَ المهمَّةِ التي أصبَحت بين

يدَيه، إنَّه عهدٌ من آلافِ السنين، أصبحَ يتحكَّمُ فيه، وله أن يُبقي هذا العهدَ أو يخفيه تمامًا.

لم يمرّ وقتٌ طويلٌ حتى دخلَ الحارسُ، وأخبرَ الملكَ أنَّ الوزراء في الخارجِ، ويتقدَّمُ مجلسَهم قائدُ الجيشِ المُعتصمُ.

خرجَ سامر رافعًا يدَه؛ تحيَّةً لهم، فانحنوا جميعًا؛ تكريمًا له.

أخبرَهم سامر أن يُطمئنوا أهلَ المدينةِ، ويخبروهم بأنَّ الحياةَ تسيرُ في مسارِها الطبيعيِّ، لكن، لم يُكمل حديثَه حتى قاطَعَهُ قائدُ الجيشِ قائلًا: كيف نُقنعُ أهلَ المدينةِ أن يتعايشوا بطبيعتِهم، وهم يعلمون أنَّ الدهمان والميامين اجتمعوا علينا!

***

قال سامر: إذا لم تستطيعوا فعلَ ذلك، فأنا سأفعل.

قال أحد كبارِ المدينةِ يُدعىٰ "ديمون": أهلُ المدينةِ لديهم ثقةٌ كبيرةٌ بك سيدي الملك، وخصوصًا بعد أن انتصرت على دهمان بكلِّ سهولة، تحدَّث معهم؛ هم الآن يحتاجون إلى حديثِك أنت.

مالَ سامر إلى هذا الحديثِ، وهذا حقًّا ما يجبُ عليه فعلُه، فنزلَ إلى المدينة، وأخبرَ الحارسَ أن يصيحَ في الأرواح، فأصدرَ صوتًا قويًّا تهتزُّ له القلوبُ، فخرجت الأرواحُ من مكانِها ناظرةً إلى سامر في شغفٍ؛ تنتظرُ ما يحملُه لهم من حديث.

***

قال سامر: مرَّت آلافُ السنينِ على هذه المدينةِ، حكمَ فيها مَن حكمَ، ورحلَ مَن رحلَ، ولكنَّ العهدَ لم يرحل، وإن استمرَّت المدينةُ كلَّ هذه السنين قويَّةً، فستستمرُّ الآنَ أيضًا؛ لأنَّها أصبحت القوةَ في حدِّ ذاتِها.

صمتَ سامر مُشيرًا إلى الحارسِ، فأصدرَ صوتًا قويًّا

مرَّةً أخرىٰ، فتبعتهُ الأرواحُ بأصواتِهم، وحينها، تبسَّمَ سامر، ثمَّ عادت المدينةُ لطبيعتِها، ولكن، تبقَّت روحٌ واحدة لم تكُن بطبيعتِها؛ إذ أصبحت تُكنُّ الكرهَ والغلَّ للملكِ!

سُرعانَ ما عرفَ الميامين بما حدثَ في المدينةِ، وكان دهمان يتحدَّثُ معهم بأن يُسرعوا في هدم مدينةِ العهودِ، وإنهاءِ هذا العهدِ تمامًا؛ حيثُ لا تزالُ روَحُه تصرخُ من مرارِ الهزيمةِ، ورغم عددِ الميامين الكبيرِ جدًا، إلَّا أنَّ آخرَ ما يلَجئون إليه هو الحربُ.

***

عادَ سامر إلى القصر، وسارة تنظرُ إليه، وتتأمَّلُ أدقَّ التفاصيلِ به، لكنَّه كان يفكرُ في اليومِ الذي ستحكمُ فيه قبضةُ يدِه.

لا شكَّ أنَّ سامرًا أصبحَ يحبُّ سارة هنا، ولا يعرفُ غيرَ عشقِ أُميمةَ هناك.

قضى سامر ليلةً في فراشٍ سارة، وعادَ في صباحِ اليومِ التالي إلى بيتِه، ولكنَّه لم يجِدَ أُميمةَ في المنزلِ، فبدأَ يبحثُ عنها، فجاءَه أحمد، وأخبره أنَّ أُميمةَ قد ذهبت إلى بيتِ أبيها الذي لا تعلمُ ماذا به!

توجَّهَ سامر إلى بيتِ أُميمةَ، وهناك، كادَ قلبُه أن يقفَ ممَّا سمع؛ إذا كانَ والدُها نائمًا على ظهرِه، وعينُه بيضاءَ كالأعمى، ويردِّدُ: "الميامين، الميامين، الميامين"، وحينما دخلَ سامر عليه، علا صوتُه وهو يردِّدُها بسرعةٍ ملحوظة!

***

كانت صدمةً لسامر عندما وجدَ عمَّه شهابًا هكذا، يبدو أنَّ الحربَ سوف تسلكَ طريقًا آخر!

مرَّت دقائقُ قليلةٌ، ثمَّ دخلَ الشيخُ عثمان شيخُ المسجدِ، وبدأ يقرأُ في أذنَيه، لكنَّه لم يهدأ، وكان الشيخُ حينها ينظرُ إلى سامر نظراتٍ طويلةٍ، ولكنَّ سامرًا لم يُبالِ بها.

دعا سامر الحارسَ ليأتي، ولكنَّه لم يفعل شيئًا سوىٰ أنَّه ألقىٰ عليه ملكَ النومِ، فنامَ الضابطُ شهاب الوزيري نومًا عميقًا، وأخبرَه الحارَسُ بأنَّه عندما يستيقظُ، سيكون في حالتِه الطبيعية، ونبَّهَهُ أيضًا بأنَّه لا يوجدُ ملكٌ يُدخِلُ الواقعَ الخاصَ به بأمورِ المدينةِ، وأحداثِها، وصراعاتها، ولكنَّ سامرًا كان يعلمُ أنَّ الأَمورَ سوف تسلكُ مسلَكًا آخر، والمُدهشُ في الأمرِ أنَّ الحارسَ أعلمَه بأنَّ الشيخَ عثمانَ يحملُ روحًا من أرَواحِ قبيلةِ بني الدهمان!

***

تعجَّبَ سامر ممَّا عرفَه عن الشيخ عثمان؛ فهو يعالجُ بعضَ الناس من الحسدِ وغيره، ولَكنَّه كان يظنُّ أنَّها أمورٌ شرعيةٌ لا دخلَ للجَنِّ بها!

مصيبةُ أُميمةَ في والدِها جعلت غيابَ سامر يمرُّ مرورَ الكِرام، ولكن، لا بُدَّ من حلٍّ، ولا يستطيعُ أحدٌ الوصولَ إليه إلَا سامرًا؛ فتوجَّهَ إلى محلِّ العطارةِ، ولكنَّه لم يمكث

طويلًا حتى دخلَ عليه الشيخُ عثمان، كان يتحدَّثُ في مواضيعَ كثيرةٍ، لا يذكرُ شيئًا مُحدَّدًا، ثمَّ جلسَ على الكرسيِّ في زاويةٍ للمحلِ، وبدأت عيناهُ تتَّسعُ، والريمُ يتساقطُ من فمِه، وتبدَّلَ صوتُه كأنَّ روحًا أخرىٰ هي التي تتحدَّث، وأخبرته أن يتركَ العهدَ، ويُسلِّمَ المدينةَ للميامين، لكنَّ سامرًا بدأَ يقرأُ تعويذةً لا يدري من أين حفظَها، وحينما انتهي سقط الشيخُ عثمان من فوقِ كرسيِّه، فقامَ سامر برفعِه من الأرضِ.

***

حينما أفاقَ الشيخُ عثمان، لم ينطق بشيءٍ، وهَمَّ بالخروج من المحلِ، فذهبَ سامر، وأغلقَه من الداخلِ، ثمَّ نزلَ إلَى المعمل، وانتقلَ إلى المدينةِ سائرًا إلى روحِ امرأةٍ عجوزٍ، هي أكَبرُ أرواحِ أهلِ المدينةِ.

أخبرَها سامر بحال والدِ أُميمةَ، وما حدث له، فتعجَّبت قائلةً: لم يتأذَّ أَحدٌ في حياتِه منذ آلافِ السنين؛

بسببِ حكمِه للمدينة، اعلمْ أنَّ الميامين أرواحٌ شريرةٌ، وكثيرٌ منهم مسخَّرٌ لبني جنسِكم من البشرِ، ولا بُدَّ أنَّ مَن تحكي عنه قد حلَّت عليه روحٌ من أرواحِهم؛ وهذا يبدو خوفًا منك، لذلك؛ لجأ حاكمُهم إلى هذا الطريقِ.

دخلت هذه الروحُ العجوزُ إلى زاويةٍ مُعتمة، وأحضرت طائرًا غريبًا، وقالت: خُذ هذا، وانحرهُ على وجهِ شهابِ الوزيري؛ فدماءُ هذا الكائنِ تقتلُ أرواحَ الميامين.

***

سألها سامر: هل عندَكِ المزيدُ منه؟

قالت: ليس الكثير؛ فهو لا يتكاثر، ولكنَّه لا يموتُ.

عادَ سامر ومعه هذا الطائر، كان عليه أن يفعلَ ذلك دون أن يراهُ أحدٌ، وكانت أُميمة جالسةً بقربِ أبيها، لا تُفارقُه، ولكنَّه نائمٌ بأمرِ الحارسِ.

لا بُدَّ أن يفعلَ أمرًا يُشغلُها؛ حتى يستطيعَ أن ينحرَ هذا الطائرَ على وجهه؛ رُبَّما تكونُ روحُ العجوز صادقةً، فلم يجد غيرَ أن يضعَ لأُميمةَ عشبًا يجعلُها تخلُدُ للنوم، وحينما تأكَّدَ من تعمُّقِها في النومِ، أتىٰ بسكِّينٍ، وتوجَّهَ نحو وجهِه ببطءٍ شديد.

***

قامَ سامر بنحرِ هذا الطائر، ولكن، حدثَ شيءٌ لم يكُن يتوقَّعُه؛ فقد خرجَ صوتُ صراخ شديدٍ من جسد الضابطِ، وجعلَه هذا في موقفٍ مُؤسفٍ؛ فقد انتبهَ إلى أنَّ أُميمةَ قد أيقظَها الصراخُ، وبينما تفتحُ عينَيها، قامَ بإلقاءِ الطائرِ والسكِّينِ من شباكِ الغرفة، ولكن، لا زالَ وجهُ والدِهَا مُلطَّخًا بالدماءِ، ممَّا جعلَ أُميمةَ تصرخُ عليه، فاستيقظَ، وأصبحَ على ما يُرامُ، ولم يعُد يُردِّدُ ما كانَ يقولُه، فظنُّوا وقتها أنَّ الدِّماءَ كانت نزيفًا من أنفِه، وهذا ما قالَه سامر؛ كي يُبعدَهم عن حقيقةِ الأمرِ.

لم يتذكَّر الضابطُ أيَّ شيء ممَّا صارَ في أثناءِ مرضِه، فارتاحَ قلبُ سامر قليلًا، وتأكَّدَ أنَّ الميامينَ رغمَ قوتِهم، يخشونَ الحربَ معه، ولكن، مَن يأمنُ مكرَ هذه الأرواحِ الشريرةِ!

لا بُدَّ من فعلِ شيءٍ يُخبرُهم بأنَّنا أقوياءُ.

***

بدأت أُميمة تتحدَّثُ مع والدِها، وكان أمرُه عاديًّا جدًّا، ولا يذكُر أيَّ شيءٍ ممَّا ترويه أُميمةُ له عن حالِه، وما كان عليه، بل إنَّه بدأ يضحكُ، وقال: رُبَّما كثرةُ الحياةِ العسكريةِ والمعاركِ أتلفت كثيرًا من عقلي.

ثمَّ بدأ يحكي عن أوقاتٍ كان بينَه وبينَ الموت فيها خيطٌ واحدٌ، ولكن ما دامَ في الحياةِ بقيَّةٌ، فلا بُدَّ من وجودِ سبيلٍ للخروجِ.

بعدما أنهىٰ حديثَه، أخبرَ أُميمةَ أن تذهبَ إلى بيتِها؛ فلا داعيَ للوجودِ معه؛ فهو أصبحَ على ما يُرامُ.

انتهى مرضُ والدِها، وبدأت أُميمة تُظهرُ ما في قلبها تجاهَ سامر من غضبٍ، فعانقَ يدَها؛ يحاولُ أن يُهوِّنَ الأَمرَ عليها.

خرجَ الاثنان سويًّا، ولكن حدثَ أمرٌ عجيبٌ؛ فقد وجدوا في طريقِهم الشيخَ عثمان، والأعجبُ أنَّه كان يمسكُ الطائرَ الغريبَ في يدِه.

***

سألَ أُميمةَ: كيف حالُ والدِك؟

قالت: هو الآن بخير.

ولكنها لم تنتبِه لأمرِ الطائرِ، والشيخُ ينظرُ لسامر بشكلٍ مُباشرٍ، فاقتربَ منه ناظرًا إليه نظرةَ عدوٍّ إلى خصمِه، ثمَّ تركَهم دون قولِ شيءٍ.

سارَ الاثنان في صمتٍ حتى وصلوا إلى البيتِ، وكانت ليلةً باردةً، فأشعلَ سامر المِدفأةَ، ثمَّ جلسَ أمامَها، ينظرُ

إلى الهبوِ المُتصاعدِ منها.

قطعَ الصمتَ صوتُ أُميمةَ، وهي تقولُ: هل لا زِلتَ تُحبُّني يا سامر؟

فما كان من سامر إلَّا أن دخلَ إلى غرفتِه، وأحضرَ صندوقًا صغيرًا كان به كلُّ صورةٍ أو رسالةٍ أرسلتها أُميمةُ له، ثمَّ عانقَها قائلًا: ما دمتُ أتنفَّسُ، فأنا أتنفَّسُ بكِ أنتِ، ولا شيءَ غيرَكِ.

***

كالعادةِ، لم يجد سامر غيرَ العناق؛ فهي ضعيفةٌ أمامَه مهما حدثَ، يكفي أنَّهما قضيا اللَّيلَ يتغنَّيان بحبِّهما، ويروي كلٌّ منهما مشهدًا قد مرَّ عليهما، حتىٰ اقتربَ الفجرُ، فنامت بأحضانِه كطفلةٍ تهربُ من هلع الخوفِ إلى أحضانِ أبيها، أمَّا هو، فقد أغمضَ عينَيه بقربِها في اكتفاءٍ من العالمِ أجمع.

منذ أن تزوَّجت سامرًا، كانت تستيقظُ، فتنظرُ إليه،

حتى فتحَ عينَيه مُبتسماً لها، ثمَّ قبَّلَ باطنَ كفَّيها قائلاً: إنَّ مشاهدَ الحبِّ قد زادت مشهدًا الآنَ، وفي وقتٍ لاحقٍ، سنذكرُه، ونبتسم.

أسرعت أُميمة لتحضيرِ الفَطورِ، وارتدىٰ سامر ثيابَه، وأخبرَها أنَّه سيذهبُ إلى والدِها؛ ليطمئنَّ عليه، وبعدها سيكون في محلِّ العطارةِ، لكنَّ الغريبَ أنَّه في أثناءِ طريقِه لبيتِ والد أُميمة، كان الشيخُ عثمان يراقبُه!

***

وصلَ سامر إلى بيتِ شهابِ الوزيري، واطمأنَّ عليه، وبعدَها اتَّجهَ إلى محلِّ العطارةَ، وهو يفكِّر كيف عرفَ روحَ هذه المرأةِ العَجوزِ!

كيف قادتْه خطواتُه إلى بيتِها!

هناك أشياءٌ كثيرةٌ يفعلُها، لكنَّه لا يعلمُ من أين اكتسبَ مهاراتها، مثل براعته في حمل السيف الذي كان فوق قمَّةِ الجبلِ؛ رُبَّما هناك قوةٌ تقودُه، ويبدو أنَّه سيظلُّ يبحثُ عن

الإجاباتِ حتى نهايةِ عمرِه!

كان شاردَ الذهن، حتى أنَّه لم يلحظ الشيخَ عثمان الذي كان يسيرُ خلفَه بحرصٍ شديدٍ حتى وصلَ إلى المحلِ.

كان يتعاملُ في عطارتِه بصورةٍ طبيعيَّةٍ، يبيعُ الأعشابَ لأهلِ قريتِه، والفرحةُ الناتجةُ عن ليلتِه مع أُميمةَ تغمرُهُ، وأخيرًا، قد انتبَه لوجودِ الشيخ عثمان معه، فذهبَ إليه قائلًا: أعلمُ أنَّ لديك الكثيرَ منَ الأسئلةِ، لكن، لا يوجدُ لديَّ أيُّ إجابةٍ لِما يدورُ في ذهنِك.

***

كان الغضبُ يبدو على وجهِ الشيخ عثمان، فنظرَ إليه قائلًا بصوت هادئ؛ حتى لا يسمعَهُ أحدٌ: أعلمُ أنَّك أخذتَ الجنَّ الخاصَ بي، وأنا قادرٌ على إعادتِه.

قال سامر: إذًا، هذه حقيقةٌ؛ أنَّك دجَّالٌ، مُشعوِذٌ، تكذبُ على الناسِ بهذه اللِّحية!

لم يتمالك الشيخُ عثمان نفسَه؛ فصفعَه على وجهِه، فالتفتَ الناسُ إليهما، ولكن حياءُ سامر منعَه من ردِّ هذه الصفعة، فأتىٰ الحارسُ، لكنَّ سامرًا أشارَ إليه ألَّا يقتربَ، ثمَّ تركَهم، ودخلَ إلى عطارتِه.

كانَ الغضبُ جليًّا على وجه سامر، ولم يمرّ الكثيرُ حتى جاءَ أحمد وإياد يسألانه عمَّا حدث، فقال: لا شيء، ولا أريدُ أن يسألَني أحدٌ مجدَّدًا، ثمَّ أخبرَهما أن يرحلا.

ذهبَ الاثنان وهما في غرابةٍ شديدةٍ، فقال أحمد: لم يعُد سامر على طبيعتِه!

فأيَّدَه إياد قائلًا: نعم، لقد تغيَّرَ به كلُّ شيءٍ؛ دائمًا يكون شاردَ الذهنِ، ليسَ معنا، أصبحَ يختفي كثيرًا، ويأتي دون إخبارِنا، فلاَ نعلمُ أين كان! ماذا يحدثُ حقًّا؟ لا بُدَّ أن نقتربَ منه أكثر.

***

تجاهلَ سامر ما حدثَ؛ فهو لا يعنيهُ كلُّ هذا، لديه

مهمَّةٌ أصعبُ، وحربٌ أكبرُ من هذه التفاهات، فنزلَ إلى المعملِ، وانتقلَ إلى مدينةِ العهودِ، وحثَّ الخُطَىٰ نحو بيتِ الروحِ العجوزِ، لكن، حدثَ أمرٌ غريب؛ كان البيتُ مهجورًا!

أليسَ هذا هو البيتُ!

تحرَّكَ سامر، ونظرَ إليه من الخارجِ؛ ليتأكَّدَ أنَّه هو، ولكن، أين ذهبت الروحُ!

إنَّ الوضعَ أصبحَ أكثرَ غموضًا الآن؛ فأشارَ إلى الحارسِ، وسألَه: أين روحُ العجوزِ التي كانت تسكنُ الدارَ؟

وكان ردُّ الحارسِ صاعقًا: الدارُ لا يسكنُها أيُّ روحٍ؛ هذه الدارُ كانت لرجلٍ خرجَ عن العهدِ، فابتلعتْه الأرضُ إلى مكانٍ آخر، ومن وقتِها، لا يسكنُها أحدٌ؛ فمن العارِ أن تسكنَ روحٌ ببيتِ روحٍ أخرىٰ خرجت عن العهدِ.

***

كادَ عقلُ سامر ينفجرُ؛ فمن أين أتَت هذه المرأةُ؟ وكيف أخذَ منها هذا الطائر؟

ضربَ بيدِه على الحائطِ قائلًا: سأبقىٰ طولَ عمري أبحثُ عن إجاباتٍ؛ لا شيءَ هنا واضحٌ أبدًا، لا شيءَ يسيرُ في مسارِه الطبيعيّ!

لم يذهب سامر إلى قصره؛ بل إلى قمَّةِ الجبلِ الأسودِ، وأشارَ للحارس أن يرحلَ، ثمَّ أبعدَ الصخرةَ السوداءَ عن مكانها، فانشقَّ الجبلُ عن مقعدِه، وهنا كانت الصدمةُ الثانيَة؛ السكينُ التي نحرَ بها الطائرَ موجودةٌ على كرسيِّه أسفلَ التاجِ، بل إنَّ الكرسيَّ نفسَه أصبحَت هناك رموزٌ غريبةٌ منقوشةً عليه!

***

أمسكَ السكينَ بيدِه كأنَّهُ يتأمَّلُ ما به، لم يجفّ دمُ الطائرِ بعد؛ فلا زالَت السكينُ لزجةً، ثمَّ بدأ ينظرُ إلى الرموزِ، لكنَّه لا يفقهُ شيئًا منها، فعادَ يسألُ نفسَه: من أين أتَت

هذه الروحُ العجوزُ؟ وكيف أتَت هذه السكينُ إلى هنا؟ كلَّما أصلُ إلى نهايةِ أمرٍ، أجدُ طريقًا جديدًا يُفتحُ أمامي!

ملَّ سامر البحثَ عن الإجابات؛ فعاد إلى قريتِه دونَ أن يذهبَ إلى القصرِ، وأغلقَ المحلَّ مُتَّجهًا إلى بيتِه.

كان يسيرُ شاردًا بذهنِه؛ يبحثُ عن إجابةٍ لِما يحدثُ، ولكن، من أين يأتي بها؟

وكيف يبحثُ عن سبيلٍ؛ ليصلَ لحلٍّ لكلِّ هذه الألغازِ!

وبينما هو غارقٌ في تفكيره، قاطعته صرخةُ أُميمةَ، فذهبَ مُسرعًا إليها، ليجدَها ترتجف خوفًا، مُشيرةً بيدِها إلى أحدِ جوانب الغرفةِ، فوجدَ ما يستفزُّه أكثر؛ رأسُ الطائرِ ينزفُ دمًا!

***

كانت صدمةً لسامر؛ فكيفَ أتىٰ هذا الرأسُ إلى هنا!

وكيفَ لا زال ينزفُ، وقد مرَّت أيامٌ على نحرِ الطائرِ نفسِه!

خطرَ في ذهنِه أنَّ الشيخَ عثمان هو مَن وضعَها، ولكن، كيف دخلَ البيتَ!

وكيف تسلَّل إلى غرفةِ نومِه!

كاد عقلُ سامر أن يطيرَ ممَّا يحدث، ولكنَّه تمالكَ نفسَه، وأخذَ أُميمة، وبدأ يُهدِّئُ من روعِها.

مرَّ اللَّيلُ، ولم تنَم عينا كليهما؛ فكلٌّ منهما يخشى شيئًا ما؛ وسامر يُفكرُ في كلِّ ما يدورُ، هل هو من صُنعِ الميامينِ، أم الشيخِ عثمان؟

ومَن تكونُ تلك الروحُ العجوزُ؟

لقد تحوَّلت حياتُه إلى أسئلةٍ بدونِ أجوبةٍ لها!

حلَّ النهارُ، وأُميمة لا تزالُ خائفةً، فأخبرَها سامر أن تذهبَ إلى بيتِ والدِها حتى يعودَ.

ذهبَ سامر إلى المحلِ، وهو يفكرُ: هل إذا نزلَ إلى قاعةِ الكنوزِ أسفلَ المعملِ، سيجدُ ما يجيبُ على أسئلتِه؟

***

لكن، لا يوجدُ مكانٌ لم يبحث فيه؛ لقد فتَّشَ تحت الحصىٰ، وكادَ أن يبحثَ في تشقُّقاتِ الصخورِ! وفي النهايةِ، قرَّر أن يهبطَ.

لا زالَ اليومُ في بدايتِه، ولا أحدَ يتجوَّلُ كثيرًا في الطريقِ، فنزلَ سامر إلى المعملِ، ثمَّ إلى قاعةِ الكنوزِ، فكانتَ صدمةٌ أخرىٰ؛ قاعةُ الكنوزِ ليست على الحالِ التي تركها عليها، كانت مثلَ مكانٍ مهجور من آلافِ السنين؛ فلم يجد اللَّوحاتِ ولا الصندوقَ، ولًا أيَّ شيءٍ، حتى كنوزُ الذهبِ ليست موجودةً أيضًا، كانت هناك فجوةٌ عميقةٌ في المنتصفِ، بها ماءٌ أسودُ ذو رائحةٍ كريهةٍ!

جلسَ سامر في زاويةٍ؛ يُفكرُ: كيف هذا!

مَن يستطيعُ أن يُغيِّرَ من تلك المعالمِ التي تسكنُ في

جوفِ الأرضِ هكذا!

وككلِّ مرَّةٍ، لا إجابةَ لما في رأسِه، بل إنَّ الأسئلةَ قد زادَت عليه!

***

خرجَ سامر من قاعةِ الكنوزِ، فمكثَ في المعملِ دقائقَ قليلةً، وما إن همَّ بالصعودِ إلى المحلِ حتى كانَ الأمرُ السيِّئُ؛ الشيخُ عثمان مرميٌّ على الأرضِ، ويبدو أنَّه ميِّتٌ!

كادَ قلبُ سامر أن يقفَ؛ خوفًا من هذا المشهدِ، ثمَّ بدأ يحرِّكُه، ولكن دونَ جدوىٰ، فأيقنَ أنَّه ماتَ.

تذكَّرَ سامر كلامَ الشيخ خليل بأنَّ مَن يصلُ إلى باب المعملِ ـغيرَ الملكِـ يموتُ، فكانت صدمةً ومُصيبةً أيضًا!

إن وُجدَ هنا، فلا بُدَّ أن يقولَ الناسُ أنَّني قتلتُه بعد أن صارت مُشاجرةٌ بيني وبينَه، ولكن، سُرعانَ ما جاءَ

الحارسُ، فأصبحَ الأمرُ بسيطًا؛ لقد أخبرتُه أن يأخذَ جثمانَه إلى بيتِه، ولم يتردَّد أبدًا، فأخذَه إلى بيتِه، واطمأنَّ قلبي قليلًا.

***

كان يبدو على سامر الاضطرابُ؛ فلم يكُن يتخيَّلُ هذا، كان يتردَّدُ في أذنِه كلامُ الشيخ خليل أنَّ مَن يحاولُ أن يعبرَ بابَ المعملِ يموتُ في الحالِ، تذكر سامر وقتها وقت أن شاهد الشيخ خليل وهو ينتقل لأول مرة إلى المدينة امامه وتذكر كل أمور إستلام العهده منه وكيف أصبح ملك لهذه المدينة، كان وقت صعب للغاية ولأن الأمر أصبح أصعب بعد أن مرت سنوات لي هنا كملك لمدينة العهود وتذكر أن لو كان الحكم ليس من قدره لكان مات قبل يخترق باب المعمل. وتذكَّرَ أنَّه لولا اختيارُ مدينةِ العهودِ له ملكًا، لكان سيلقىٰ نفسَ المصير.

أغلقَ سامر المحلَّ، وعادَ إلى بيتِه، كان يبدو على وجهِه

أنَّ هنالك شيئًا ما، فدخلَ إلى فراشِه والعرقُ يملؤهُ، كانَ يشعرُ بالبردِ الشديدِ؛ يبدو أنَّه أُصيبَ بالحمىٰ!

ظلَّ في بيتِه يومين، لا يدري ما يحدثُ حولَه، حتى طُرِقَ البابُ بصوتٍ مرتفعٍ، ظنَّت أُميمة أنَّه أحمد، لكنَّها وجدت ضابطًا، ومعه بعضُ الجنودِ، فسألها الضابط: أين سامر؟

لم تُجب أُميمة من هولِ الموقفِ، فردَّد سؤالَه ثانيةً: أين زوجُك سامر؟

قالت: هو بالداخلِ مريضٌ.

فدخلوا إليه بشكلٍ مُفزعٍ، وأخذوه!

كان سامر يسألُ كثيرًا: ماذا فعلتُ؟

فأجابَه الضابطُ: أنت مُتَّهمٌ بقتلِ الشيخِ عثمان.

***

صمتَ سامر؛ فهو لم يقتلْه، ولكنَّه لا يستطيعُ أن

يُخبرَهم بالحقيقةِ؛ فهذا الضابطُ معروفٌ بعنفِه وغلظةَ قلبه، ورغمَ مرضِ سامر الشديد، إلَّا أنَّه ظلَّ يدورُ حولَه ناظِرًا إليه، وهو يقولُ: عليكَ أن تُخبرَني بالحقيقةِ، وإلَّا سوفَ تُخبرُني رَغمًا عنك.

أتىٰ الحارسُ، ولكن أشارَ سامر إليه ألَّا يفعلَ شيئًا.

وقفَ الضابطُ أمامَ سامر ناظرًا في عينَيه؛ فهو لم ينطق بشيءٍ، فأحكمَ قبضتَه، وأرادَ أن يلكمَه، ولكنَّ يدَه لم تصطدِم بوجهِ سامر؛ بل كأنَّها اصطدمت في صخرةٍ جرىٰ عليها الزمنُ، فازدادت صلابةً، فبدأت يدُه تنزفُ.

انزعجَ الضابطُ من ذلك، فأمرَ بأخذِ سامر إلى غرفةٍ أسفلَ المبنىٰ.

قال الحارسُ: بإمكاني أن أخرجَك من هنا.

ولكن، رفضَ سامر؛ فسوف يُثبِتُ ذلك أنَّه مَن قتلَه حقًّا.

كانَ سامر حينَها لا يفكرُ إلَّا في حالِ أهلِ المدينة، وزوجتِه، هل سينتهي به الأمرُ هنا معلقًا بحبالِهِم، قتيلًا دونَ ذنبٍ!

***

كان شاردًا فيما وصلَ إليه، حتى سمعَ صوتَ أحمد، وهو يصرخُ: أخي، أخرِجوا أخي؛ فهو لم يفعل شيئًا.

انكسرَ قلبُ سامر، وكان حزينًا جدًا على حالِ أخيه؛ فهو يعلمُ أنَّ أحمدَ لا يملكُ سواهُ بعد وفاةِ والدَيهما، فباتَ ليلةً لم تغمض له فيها عينٌ.

في صباحِ اليومِ التالي، أتىٰ إياد ومعه عمُّه شهاب؛ ليُسهِّلَ عملَيةَ الدخولِ إلى سامر؛ بكونِهِ ضابطًا ومعهما صديقُ إياد، وهو مُحامٍ اسمه خالد.

تحدَّثَ خالد إلى سامر قائلًا: هل قابلت الشيخَ عثمان بعد خلافِكم الذي كان على مرأى ومسمعٍ من الناس؟

قال سامر في تردُّدٍ: لا، لم أرَه بعدها.

لاحظَ خالد ارتباكَ سامر، فطلبَ منه أن يُخبرَه بالحقيقةِ، ولكنَّ سامرًا لم يُغيِّر رأيَه، ثمَّ عادَ إلى حجرتِه ثانيةً.

أخبرَ الضابطُ شهاب الوزيري المحاميَ خالدًا أنَّ الشيخَ عثمان رجلٌ كبيرٌ، ولا توجدُ أيُّ أداةٍ ارتُكِبَت بها الجريمةُ، لذلك؛ لا بُدَّ من طلب الطبيب الشرعيِّ، فوافقَه خالد قائلًا: هذا ما كنتُ سأفعلُه تمامًا.

***

قدَّمَ المحامي مذكِّرَتَه إلى ضابطِ الشرطةِ، وبها طلبٌ بتقديم جثمان الشيخ عثمان إلى الطبِّ الشرعيِّ، فبدا على الضابطِ حينها أنَّه يعلمُ شيئًا، لكنَّه يخفيهِ عنهم، فأمرَ بنقلِ سامر إلى غرفةٍ أخرىٰ، مُوصيًا بعضَ الخارجين عن القانونِ أن يُبرحوه ضربًا؛ جزاءً لِما حدثَ لسيِّدِه، ولكن حدثَ لهم نفسُ الشيءِ الذي حدثَ للضابطِ حين حاول

ضربَه!

في نهارِ اليوم الرابع في مبنىٰ الشرطة، أتىٰ الحارسُ يخبرُه أنَّ مجموعَةً كبيرَةً من أرواحِ الميامين تتقدَّمُ نحو المدينةِ، فكادَ أن يُجنَّ: ستنتهي المدينَةُ وأنا هنَا، لا أصدِّقُ ما يحدث!

فكَّرَ سامر أن يأمرَ الحارسَ؛ ليُخرجَه من هنا، ولكنَّه كان مُتردِّدًا جدًا، حتى فُتِحَ بابُ غرفتِه، فخرجَ، ليجدَ أخاهُ أحمد، فقامَ بمعانقته بشدَّةٍ، وأخبرَه إياد أنَّه سوف يخرجُ من هنا، وأنَّ الشيخَ عثمانَ مات بسكتةٍ قلبيةٍ، ولا جنايةَ في موتِه، ففرحَ سامر كثيرًا، وكادَ أنْ يبكي إلَّا أنَّهم أخبروه أنَّ إجراءاتِ الخروج ستستغرقُ ساعةً أو ساعتين، فصار قلقًا بشأنِ المدينةِ، ولكن، عليه أن ينتظر.

***

أمرَ الحارسَ أن يتابعَ الأمرَ، ويخبرَه إلى أين وصلَ تقدُّمُ الميامينِ نحو المدينةِ، مرَّ تقريبًا ثلاثُ ساعاتٍ، ولم

يتمّ الإفراجُ عنه بعد!

كانَ سامر منزعجًا جدًا حتى وصلَ الحارسُ، وأخبرَه أنَّ نصفَ عددَ أرواح الميامين قد عادوا إلى قلعتِهم، والنصفُ الآخر ظلَّ فيَ وادي نيرانِ، وهو وادٍ قريبٌ من المدينةِ، وأُطلِقَ عليه هذا الاسمُ؛ لكثرةِ بُقعِ النيرانِ التي بداخلِه، وهو تقريبًا مشتعلٌ دائمًا، ولا ينطفئ.

أتىٰ جنديٌّ إلى سامر يُخبرُه أنَّه حرٌّ، فخرجَ مُتوجِّهًا إلى المعملِ سريعًا، ثمَّ فتحَ كتابَ التعاويذِ، وانتقلَ إلى المدينة والحارسُ يتبعُه، حتى وصلا إلى وادي نيران، فوجدَ أنَّ هذا العددَ قليلٌ، ويبدو أنَّ ملكَ الميامين يخطِّطُ لمكيدةٍ أخرىٰ لهذه المدينة!

ذهبَ سامر إلىٰ القصرِ، وأبلغَهم بأنَّ هناك اجتماعًا، ولكن ليس مع المُعتصم قائدِ الجيشِ، ولا مع كبارِ أهلِ المدينةِ، وإنَّما أرادَ أن يجتمعَ بشخصٍ واحدٍ فقط، وهو على يقينٍ أنَّه من المُخلصين، وهو ديمون.

***

حكىٰ له عن حالِ الميامين، وما حدث، وأنَّهم تقدموا بعددٍ كبير، ثم انقسموا إلى نَصفين: ظلَّ نصفٌ في وادي نيرانٍ، وعاد النصفُ الآخرُ إلى قلعتِهم.

سكتَ ديمون قليلًا، ثم قال: هم اختاروا هذا الوداي؛ لأنهم يعرفون أنَّ ملكَ المدينةِ ليس من أرواحِها؛ وإنَّما هو بشريٌّ، ولا يستطيعُ أن يدخلَ هذا الوادي الذي يبدو من الخارجِ ككُتلة نارٍ متوهِّجةٍ.

ثمَّ تابعَ قائلًا: من الصعبِ أن تتوقَّعَ أفعالَ الميامين، وما ينوون إليه؛ فهم يمتلكونَ مهارةَ الخداع، والمكرُ جزءٌ كبيرٌ من شخصياتهم، وهو سببُ كثرةِ عدَدِهم وقوتهم أيضًا، فيجبُ عليكَ أيُّها الملكُ سامر أن تسبقَ تفكيرَهم؛ حتى تحافظَ على هذا العهدِ، وعلى أرواحِ أهلِ المدينة.

قامَ سامر من مقعدِه، ووضعَ يدَه على كتفِه قائلًا: اطمئِن.

ثمَّ شكرَه على ما قدَّمَه من معلوماتٍ عن الميامين.

***

رأى سامر أنَّ الأرواحَ التي تسكنُ وادي نيران من الممكنِ أن تتغلَّبَ عليهم دونَ خروج أرواح الجبلِ الأسودِ؛ فهو يفكِّرُ في الاحتفاظِ بهذا السلاحِ دونَ إخبارِ أحد به، فأمرَ الحارسَ أن يُعلنَ عن اجتماعٍ مساءَ اليوم، يكونُ فيه كلُّ كبارِ أهلِ المدينةِ، وعلى رأسِهم قائدُ الجيشِ المُعتصم.

دخلَ سامر غرفتَه الخاصةَ في القصرِ، وكانت سارة نائمةً، فقبَّلَها من جبهتِها، فاستيقظت، ولم يكن في وسعِه إلَّا أن يُلقيَ بجسدِه على الفراشِ، فغطَّ في نومٍ عميقٍ حتى حلَّ اللَّيلُ.

في المساءِ، اجتمعَ المجلسُ، فخرجَ إليهم سامر، وبعد أن انحنَوا؛ تعظيماً له، أخبرَهم بأمر الميامين، وأنَّهم في وادي نيران، فأمرَ القائدَ المعتصم أن يُعدَّ جنودَه، وأنَّ

كلَّ روحٍ في المدينةِ تستطيعُ الحربَ، فهي بينَ صفوفِ الجيشِ.

***

قال القائدُ المعتصم: ليسَ كلُّ الأرواحِ لديها مهاراتُ الحربِ!

صمتَ سامر قليلًا، ثمَّ قال: أعلمُ هذا، ولكن، أقائدُ الجيشِ لا يعلمُ ما يدورُ حولَه!

ألا يعلمُ بأمرِ الميامين التي أصبحت قريبةً منَّا في يومٍ وليلةٍ، بل ووصلت أيضًا إلى أسوارِ المدينةِ!

احمرَّ وجهُ القائدِ خجلًا، فصمَتَ وهو يشيرُ برأسِه مُوافقًا على إعدادِ أرواحِ المدينةِ للحربِ.

قال سامر: من اليومِ، سيكونُ ديمون المستشارَ الأكبرَ للمدينةِ، وله ولايةُ المدَينةِ في غيابِ الحاكمِ.

أغضبَ هذا الأمرُ الحاضرين جميعًا؛ فلم يسبق لروحٍ

أن تتحكَّمَ في المدينةِ في غيابِ الملكِ!

ولكن، لم يكن سامر غبيًّا؛ فقال: إنَّه لن يتصرَّفَ من تلقاءِ نفسِه؛ وإنَّما كلُّ القراراتِ للملكِ، وهو سوف يُطلعُكم عليها إن أمرتُه بذلك، سابقًا، كان ديمون مسئولًا عن أراضي المدِّينةِ، وزراعتِها، وسيبقىٰ كما هو، بالإضافةِ لمنصبِه الشرفي.

أشارَ الملكُ إلى المعتصم أن يُسرعَ في إعدادِ الجيش، فبدا على وجهِه الغضبُ، ولكن، لم يعُد بوسعِه إلَّا أن يفعلَ ما أُمِرَ به.

***

أصبحَ الأمرُ مزعجًا لأُميمة، وأصبحت _على غيرِ العادةِ_ لا تعلمُ أين سامر، ولا سببَ اختفائِه، تغيَّرَ كلُّ شيءٍ بعد زواجِها؛ فهي الآن لا تجدُ مَن يسمعُها، أو تتحدَّثُ معه بأَمرِها، فتركت البيتَ ذاهبةً إلى والدِها؛ لتطمئنَّ عليه.

بدأت في الحديثِ عن سامر، وتغيُّره بعد الزواج، وكأيِّ أب، حاولَ إصلاحَ الأمرِ ببعضِ الكلماتِ والعباراتِ المُطمئنةِ، وأخبرَها أنَّ معظمَ بداياتِ الزواجِ هكذا، ثمَّ يمرُّ هذا الوقتُ عليهما معًا، وتستقرُّ الحالُ.

لم يعُد بوسعِ أُميمة إلَّا الانتظارُ، ومراقبةُ ما يحدثُ، وهي ترجو أن يَعودَ سامر المحبُّ إلى صوابِه، وإلى ما كان عليه قبل زواجِهما.

اقتربَ موعدُ اللَّيلِ، فتوجَّهت أُميمة إلى منزِلها، وما إن وصلت إليه حتى وجدت بابَ المنزلِ مفتوحًا، فظنَّت أنَّ سامرًا قد عادَ، ولكن لم يكُن هو؛ فقد كان رجلًا عجوزًا، يجلسُ في منتصفِ البيتِ مُتَّكئًا على غصنِ شجرةٍ يبدو من شكلِه أنَّه يحملُه معه منذ فترةٍ طويلة!

***

سألته أُميمة: مَن أنت؟

قال: السؤالُ الأهمُّ: مَن أنتِ؟

أعلمُ أنَّ اسمَكِ أُميمة، ولكن، ماذا بعد!

ماذا بعد أن تزوَّجتِ!

لقد ازدادَ الأمرُ سوءًا!

قالت: ومَن أخبرَكَ بهذا!

وكيف دخلتَ إلى هنا!

قال: أنا رجلٌ منبوذٌ من الجميع، لا أحدَ يهتمُّ بوجودي، ومع ذلك، أعلمُ ما لا يعلمُه أحدٌ، أعلمُ ما بقلبك وعقلِك بسبب سامر.

أُميمة: أنتَ تعرفُ سامرًا!

أتعرفُ أين هو؟

لكنَّه لم يُجِب عليها، وأخرجَ من جَعبتِه قطعةَ خبزٍ صغيرةٍ قائلًا: إذا أردتِ السعادةَ، فتناولي هذه القطعةَ البسيطة.

ظنَّت أُميمة أنَّ هذا الرجلَ مجذوبٌ، وقبلَ أن تخبرَه

بأن يرحلَ، خرجَ بنفسِه من البيتِ، فأخذت أُميمة قطعةَ الخبز؛ لتُعيدَها إليه، ولكن، ما إن خرجت خلفَه حتى وجدَته قد اختفىٰ تمامًا، ولا أثرَ له إطلاقًا!

***

أغلقت أُميمة بابَ المنزلِ جيدًا، ثمَّ دخلت إلى غرفتِها، وكان كلامُ الرجلِ بصوتِه الضعيفِ يدورُ في ذهنِها، لم يرُق لها ما حدث، ولكن، من أين عرفَ اسمَها واسمَ سامر أيضًا! فأغمض عينيه وكان يتمنى أن تكون هذه اليد يد أميمة التي هو أكبر المقصرين في حقها. كان يتمنى أن يكون له وجود هنا في حياته كملك لمدينه العهود..

وكيفَ عرفَ الحالَ التي وصلا إليها بعد الزواجِ!

ظلَّت الأسئلةُ تدورُ في رأسِها حتى نامت.

كان الوقتُ منتصفَ اللَّيلِ، وسامر واقفٌ في شرفةِ قصره، ينظرُ تجاهَ وادي نيرانَ حتى شعرَ بيد دافئة تلتفُّ حولَ خصرِه، فأغمضَ عينَيه؛ ظنًّا منه أنَّها أُميمةً التي

يعلمُ أنَّه أكبرُ المقصِّرين في حقِّها، ولكنَّها كانت يدَ سارة التي قالت: اطمئن يا سامر؛ فهذه المدينةُ مرَّ عليها الكثيرُ، ولم يُنقص ذلك من عزيمتِها شيئًا؛ فإنَّ العهدَ يُقوِّي الأرواحَ، ويجعلُ المدينةَ أكثرَ قوةً.

كان سامر يتأمَّلُ أرواحَ أهلِ المدينةِ القلائلَ التي تمرُّ على جوانبِ الطريقِ المُقابلِ للقصرِ، ينعكسُ على وجوهِهم لهبُ النيرانِ التي على أطرافِ الطريقِ، حتى حدثَ أمرٌ غريبٌ جدًا؛ فقد رأى سامر روحَ العجوزِ تمرُّ على الطريق!

***

نزلَ سامر مُسرعًا، يجري خلفَها، حتى وصلَ إليها، وأوقفَها، ولكن لم تكن هي، فكادَ أن يُجنَّ؛ فلقد رآها من أعلى، وكان وجهُها واضحًا تمامًا!

كانت سارة تُراقبُ الموقفَ من شرفةِ القصرِ.

أسندَ ظهرَه على صخرةٍ صغيرةٍ، وهو على يقينٍ أنَّ مَن

رأها كانت الروحَ العجوزَ، ولكن، إلى أين ذهبت!

قامت الرياحُ بإطفاءِ شُعلةِ النارِ التي كانت في يدِه، وأيضًا تلك التي على جوانبِ الطريقِ، فأصبحَ الطريقُ مُظلمًا تمامًا.

أحسَّ بيدٍ تمسكُ به، فالتفت خلفَه لا يرىٰ شيئًا من ظلامِ اللَّيلِ إلَّا ملامحَ بسيطةٍ من وجهِ الروحِ العجوزِ، فقالَ لها: مَن أنتِ؟

فأجابت: لا وقتَ للكلامِ الآن، اذهب إلى زوجتِك، ولا تجعل روحَ الميامين تسكنُها.

دُهِشَ سامر، ولا يفهمُ شيئًا ممَّا تقولُ، وقبل أن يسألَ، قالت: لا تجعلها تأكلُ الخبزَ، وإن أكلته فستحملُ في بطنِها جنينًا من أرواحِ الميامين.

وظلَّت تُردِّدُ هذه الجملةَ حتى اختفت تمامًا!



ذهبَ سامر مُسرعًا إلى القصر، أحضرَ التعويذةَ، فعادَ إلى المعمل، ثمَّ خرجَ منه مُتَّجهًا إلى بيتِه، كانت الشمسُ على وشكِ أن تطلعَ، فجرى، ولم يُعر اهتمامًا لمَن حولَه، ولمَّا وصلَ إلى بابِ البيتِ، وجدَ أُميمة واقفةً في المنتصفِ، ويبدو أنَّها قد أنهَت قطعةَ الخبزِ!

كانت صدمةً جديدةً على سامر؛ فلم يتوقَّع أن يزدادَ الأمرَ سوءًا، والغريبُ في الأمرِ أنَّ أُميمة لا يبدو عليها الغضبُ أبدًا، بل كانت تبتسمُ لسامر!

سألها سامر: من أين أتيتِ بقطعةِ الخبزِ هذه!

فحدَّثته عن الرجلِ، وما صارَ، وأنَّه أخبرَها أنَّها إذا تناولت قطعةَ الخبزِ هذه، فسيصبحُ كلُّ شيءٍ على ما يُرامُ، ثمَّ قالت: وها أنتَ قد عدتَ يا سامر، ولو كنتُ أعلمُ ذلك من قبل، لكنتُ بحثتُ عن الرجلِ، وأكلتُ منه الخبزَ.

كادَ قلبُ سامر ينفطرُ؛ خوفًا من الحالةِ التي ستكون

أُميمة عليها، لكن، هل يُوجدُ علاجٌ لها، أم ستكونُ في بيتِه روحٌ تُنسبُ له، وهي من أرواحِ الميامين؟

***

إنَّ الأوضاعَ قد ازدادت سوءًا، فكان سامر في حالة صمتٍ رهيب، يجلسُ على كرسيٍّ في نافذةٍ صغيرةٍ مُطلَّةً على مساحةِ أرضٍ خضراء، كان في بيتِه، ولكن، عقلُه بعيدٌ كلَّ البعدِ عنه، حتى خطرَ ببالِه سؤالٌ: كيف عاشَ كلُّ حكام المدينةِ سابقًا، ولم يحدث معهم ما حدثَ معي!

لقد كانَ الشيخُ خليل يعيشُ حياةً طبيعيَّةً جدًا.

وهو!

لم ينتبهِ أحدٌ إلى حالتِه، حتى أقربُ الأشخاصِ إليه!

فهل للأمرِ علاقةٌ بقاعةِ الكنوزِ، وأن يرتبطَ حكمُه لمدينةِ العهودِ بواقعِه هنا؟

منذ أيامٍ، حدثَ ما حدثَ لعمي شهاب؛ كرسالةِ تحذيرٍ

من ملك الميامين، وبعدَها، وصلَ إلى بيتي وزوجتي! يبدو أنَّ الحربَ ستكونُ غيرَ شريفةٍ أبدًا!

فهل وصولي إلى سرِّ العهدِ هو سببُ ربطِ حكمي للمدينةِ بأهلي والواقع؟

أمَّا الآن، فقد أصبحَ قلقي هنا وهناك، ولكن، لا بُدَّ من حلٍّ لوضع أُميمة؛ فقد أصبحتُ على يقين أنَّ بداخلِها روحًا من أرواحِ الميامين.

***

لكن، كيف عرفت الروحُ العجوزُ بأمرِ زوجتي وقطعةِ الخبزِ!

أعتقدُ أنَّ بإمكانها الردَّ على كلِّ ما أحاولُ معرفتَه الآن، لا بُدَّ أن أجدَ طريقَةً للوصولِ إليها.

أخبرَ أُميمة أنَّ عليه الذهابَ، وألَّا تقلقَ إن غابَ لعدةِ أيامٍ، فابتسمت له ابتسامةً غيرَ طبيعيَّةٍ!

دخلَ سامر إلى المعمل، وقبلَ أن يذهبَ إلى مدينةِ العهودِ، وجدَ ضوءًا خافتًا يخرجُ من قاعةِ الكنوز، فاقتربَ منها برفق مُندهشًا، ليجدَ شخصًا ما يقفُ حاملًا بيدِه اليُسرىٰ شعلةَ نار، وبيدِه اليُمنىٰ عصًا غريبة.

وقفَ سامر مذهولًا؛ كيف دخلَ هذا الشخصُ إلى هنا!

وكانت الصدمةُ الأكبرُ حينَ تحدَّثَ هذا الشخصُ دونَ أن يتلفتَ إلى سامر، قائلًا: ها أنت الآن أصبحت ملكًا يا سامر!

كان الشخصُ يتقدَّم إلى الأمامِ دونَ أن ينظرَ إلى سامر، ولكنَّ سامرًا يخشىٰ شيئًا؛ فهو يعرفُ هذا الصوتَ جيدًا.

***

قال الشخصُ: الآن، أصبحت تعرفُ الكثيرَ يا سامر، ولكن، ما دمتَ حيًّا، فلا بُدَّ أن تبحثَ عن الإجاباتِ؛ لأنَّ الأيامَ دائمًا ما تطرحُ علينا الأسئلةَ.

كان سامر يخشىٰ أن يتقدَّم؛ ليعرفَ هذا الشخصَ، ولكنَّه على يقينٍ تام أنَّ هذا صوتُه، وهو لا يزالُ يمشي دون الالتفاتِ إلىٰ سامر، ثمَّ تركَ العصا إلى جانبِه في زاويةِ القاعةِ، وقال: أصبحتَ مختلفًا يا سامر؛ فلم يصل أيُّ ملكٍ لمدينة العهودِ لِما وصلت إليه؛ رُبَّما قدرُك أن تحملَ مسئوليةً كبيرةً في بدايةِ حكمِك للمدينة، وأنتَ الآن بحوزتِك العهدُ الأبديُّ.

سألَه سامر: وما هو العهدُ الأبديُّ؟

قال الشخصُّ: لم يتغيَّر بك شيءٌ يا سامر؛ فلا زلتَ تسألُ عن كلِّ شيء!

تزايدَت دقاتُ قلب سامر؛ فهو يعلمُ جيدًا مَن صاحبُ الصوتِ، ولكَنَّه يخشىٰ أن يكونَ مُحقًّا، حتى التفت إليه، فأصابت سامر صدمةٌ كبيرةٌ قائلًا: الشيخُ خليل! مستحيل!

***

كنتُ أعلمُ أنَّه صوتُك، ولكن كنتُ أكذِّبُ نفسي، كيف أتيتَ إلى هنا؟

ومن أين أتيتَ؟

وكيف تعرفُ كلَّ ما أنا به؟

وما هو العهدُ الأبديُّ؟

ضحكَ الشيخُ خليل، ثم قالَ: إن تركتُك، فلن تتوقَّفَ عن طرحِ الأسئلةِ يا سامر!

لا شيءَ تغيَّرَ بك؛ دائمًا تبحثُ؛ لمعرفةِ كلِّ الأشياءِ، ولكن، هناك أشياءٌ لا بُدَّ أن تظلَّ مجهولةً.

ثمَّ تابعَ: أنا لم آتِ؛ فجسدي أكلَه الدودُ، إنَّني الآن روحٌ دونَ حياةٍ، روحٌ تهيمُ بين الأرواح، ووجودُها هنا لن يدومَ طويلًا، فاسمع، وأنصت جيدًا يا سامر، هذه العصا ستكون دليلَك ومُرشدَك دائمًا، أمَّا زوجتُك، فإمكان دماءِ الطائرِ أن تُحوِّلَ جنينَ روحِ الميامين بداخلِها

إلى روح بشريَّةٍ، فعليكَ أن تسعىٰ للحربِ، أجل، بإمكان الميامينَ أن يُلحقوا بك ضررًا كبيرًا، ولكِن، ليس بالملك سامر؛ وإنَّما بسامر البشريِّ الذي لم يكن يستطيعُ فعلَ شيءٍ سابقًا، أمَّا الآن، فقد صار بحوزتِك عصا العهدِ الأبديِّ.

❋❋❋

قال سامر: كيف يكون دليلي عصًا لا تقولُ شيئًا؛ هي مجرَّدُ عصًا عمياءَ عمَّا يحدثُ حولَها!

أجابَه الشيخُ: أجل، هي تبدو مجرَّدَ عصًا، ولكن، أُلقيَ عليها جميعُ تعاويذِ مدينة العهودِ، وبُوركت بأرواح ملوكِ المدينةِ، فكن على يقينٍ أنَّك بها قوةٌ لا تُقهرُ يا سامرَ.

كان سامر يسيرُ قلِقًا نحوها، وكان الشيخُ خليل يُردِّدُ: احملها يا سامر، فحملَها برفق يتحسَّسُ ملمسَها، ثمَّ قبضَ عليها بيدِه، كانت ثقيلةً بعضَ الشيءِ على عكس ما يبدو عليها، ولمَّا التفتَ، كانت روحُ الشيخِ خليل قدَ

ذهبت.

علمَ سامرَ أنَّه أتىٰ لفعلِ شيءٍ ما، وها هو الآن قد حدث، فبدأ يُلوِّحُ بالعصا في الهواءِ، وفي البدايةِ كان الأمرُ عاديًّا جدًّا، حتى صارَ ما كانَ ينتظرُه؛ فقد ازدادت مرونةُ العصا في يدِه، حتى أنَّه صارَ يُحرِّكُها بشكلٍ جنونيٍّ، ووصلَ الأمرُ أنَّها أنتجَت ريحًا، فتطايَرت معها الأوراقُ، وكلُّ ما في قاعةِ الكنوزِ.

***

حينما انتهى سامر، وجدَ على ظهرِ يدِه وشمَ المدينةِ، وبينَ حدودِه كُتِبَت أسماءٌ كثيرةٌ بخطٍّ صغير، كان من بينها اسم الشيخ خليل، فعلمَ أنَّها أسماءُ ملوكِ المدينة، لكن، الغريبُ في الأمرِ أنَّ اسم سامر لم يكن صحيحًا، أو أنَّ هذا ما ظنَّه سامر وقتها؛ فاسمُ الشيخ خليل جاءَ بعدَ اسمِه، فدُهِشَ قليلًا، ثم ظنَّ أنَّ هذا بسببِ أنُّه ورِثَ الحكم عنه!

أكملَ سامر قراءةَ الأسماءِ كلِّها، ثمَّ بدأَ يشعرُ بقوةِ العصا في يدِه، وكانَ يُخَطُّ في ذهنِه آلافُ التعويذاتِ السحريَّةِ، حتى شعرَ بأنَّه كبيرُ سحرةِ الأرضِ!

***

وصلَ الحالُ بسامر إلى أنَّه صارَ يُحرِّكَ الأشياءَ عن بُعد، ويرتفعُ في الهواءِ كأنَّه طائرٌ، وأصبحَ يمتلكُ مرونةً مُدهشةً، أمَّا الأمرُ الأهمُّ أنَّه أصبحَ يعرفُ مَن هذه الروحُ العجوزُ، فانتقلَ سريعًا إلى المدينةِ.

كان يسيرُ في خفيةٍ إلى البيتِ الذي التقاها فيه سابقًا، لكنَّه بدا خاليًا تمامًا، فبدأ يتحرَّكُ في الظلام خطوةً خطوة، فضربَ بعصاه على حائطٍ قديم، فسقطَ، ليرى سامر بئرًا صغيرًا، وفراشًا ملكيًّا رائعًا، وهذه الروحُ العجوزُ تجلسُ عليه، وكأنَّها تنتظرُه!

قالت بصوتٍ هادئ، وكأنَّها تعرفُه جيدًا: أنا چود، والآن، أنت تملكُ عصاَ العهدِ الأبديِّ؛ فلا بُدَّ أنَّ أرواحَ

ملوكَ المدينةِ قد أرسلوا إليك الشيخَ خليل، والآن، أنت تعرفُ مَن أنا، أنا زوجةُ الشيخِ خليل.

لم يكن الكلامُ مُدهشًا بالنسبةِ لسامر؛ فقد أخبرته العصا بكلِّ ذلك.

***

فقالت الروحُ العجوزُ: أعلمُ أنَّ العصا أخبرَتكَ بالكثير، ولكن، لديَّ ما لا تعرفُه، ولن يخطرَ على بالك حدوثُه، لذلك؛ عليك أن تعرفَ الحقيقةَ جيدًا؛ لكي تنقذَ المدينةَ وأهلَها.

الآن، أنا أُحادثُك بكوني فردًا ممَّن يسكنونَ هذه المدينة، ويعيشون فيها طولَ الدهر، فعليكَ أن تعلمَ أمرًا قد يُغيِّرُ نظرتَك إلى المدينةِ وأهلِها، ورُبَّما لواقعِك الذي تعيشُه أيضًا.

كان سامر يستمعُ في هدوءٍ شديد، فقالت: اليومُ الذي تحملُ فيه زوجةُ الملكِ في الواقعِ، لا بُدَّ أن تحملَ فيه أيضًا

زوجتُه في المدينةِ، وقد أخبرتُك بذلك من قبل أن تأكلَ أُميمة قطعةَ الخبزِ، وتصبحَ حاملًا في روح من أرواحِ الميامين، وهذا لن يشكِّلَ خطرًا عليك؛ لأنَّها ستحملُ بصورةٍ طبيعيَّةٍ كما لو كانت حاملًا في بشريٍّ، لكن، الخطرُ الكبيرُ هنا على سارة!

***

إن استمرَّ هذا الحملُ، وأميمةُ تحملُ روحًا خارج العهدِ في بطنها، فستُطرَدُ سارة من المدينةِ، وهكذا هي القوانين: بعضُها مُنصفٌ، والآخرُ قاسي، ولكن، هناك فرصةٌ؛ لتنقذَ كليهما، وهي أن تأتي بطائرِ الوادي.

قال سامر: وما هو طائر الوادي؟

أجابته الروحُ: إنه طائرٌ يسكنُ وادي نيران، سُمِّيَ هكذا؛ لأنه لا يغادرُ الوادي أبدًا، ودماؤه تُبطلُ سحرَ الميامين.

كانت الروحُ تتحدَّثُ، وهي تتحرَّكُ في المكانِ المُظلمِ

دون أن تصطدمَ بشيءٍ؛ فقد كانت تحفظُ خطواتها جيدًا، والتفَّت حولي أكثرَ من مرَّةٍ وهي تتحدَّثُ عن هذَا الطائرِ، حتى قالت: يجبُ أن تخوضَ الحربَ قبلَ مرورِ الأشهرِ التِّسعةِ، وإلَّا سوفُ تخسرُ سارة للأبد.

***

تلك الروحُ التي تُزيِّنُ حياتي هِنا، لم أتخيَّل حتى أنَّها روحٌ من أرواحِ هذه المدينة، لا أُنكرُ حبِّي لها هنا، وأنا على يقين أنِّي -ولو كنتُ بدونِ قلادةِ العشقِ الأبديِّ- كنتُ سأَقعُ في حبِّها أيضًا.

اتذكر أول يوم لي بعد زوجي منها هنا بعد أن أخذت تلك القلادة وحجم الحب الذي سكن قلبي وقتها بتأثير من قلادة العشق الأبدي ولكن أنا الأن دون قلادة أشعر بالحب الأبدي تجاه سارة.

كانت السيدةُ چود حكيمةً في الحديثِ، وظهرَ هذا من طريقةِ كلامِها معي، يبدو أنَّ الشيخَ خليلَ قد أعطاها

دروسًا كثيرةً في فنِّ الحديثِ!

أمَّا الآن، فقد علمتُ الحلَّ للحفاظِ على حبِّي في الواقعِ، وحبِّي في مدينةِ العهودِ أيضًا، إنَّها الحربُ لا محالةَ، ولكن، قبل أن أنصرف، أمسكت السيدة چود بيدي، وتغيَّرت تعابيرُ وجهها تمامًا، ثمَّ قالت: هناك أمرٌ لا بُدَّ أن أخبرَك به، وأعلمُ أنَّه قد يكونُ صعبًا عليك، وربَّما يكونُ قاسيًا أيضًا، ولكنِّي الآن أتحدَّثُ مع ملكِ العهدِ الأبديِّ للمدينةِ.

لقد أخفىٰ الشيخُ خليل سرَّ هذه المدينةِ طولَ حياتِه، ولكن، هذا لم يكن أكبرَ أسرارِه؛ فلديه سرٌّ أكبرُ منه، وكان حريصًا جدًا عليه.

***

قال سامر: وهل تعرفين هذا السرَّ؟

قالت: أجل، أعرفُ هذا السرَّ جيدًا، وأعتقدُ أنَّ لا أحدَ في المدينةِ أو في الواقعِ يعلمُه.

كان سامر منتبهًا لها في شغف كبير، ثمَّ قال: ما هو هذا السرُّ الذي يكون أكبرَ من سرِّ مدينةِ العهودِ يا سيدة چود؟

تحرَّكت السيدةُ إلى إحدىٰ زوايا الغرفةِ، وأخرجت صندوق خشبي صغير يبدو من هيئته مرور الزمن وقسوته، كان يُشبهُ الصندوقَ الذي رأيتُه في قاعةِ الكنوزِ مع الشيخِ خليل.

قالت السيدة چود: افتح هذا الصندوقَ كما فتحتَ الذي وجدتَه من قبلُ، ولكن، ليسَ هنا؛ بل افتحه عندما تذهبُ لقصرِك، وعليك أن تعلمَ أنَّ الدنيا مهما أفصحت عن أسرارِهاَ، فستظلُّ هناك أمورٌ خفيَّةٌ لا نعلمُها، وقد تكون حكَمةُ ذلك أكبرَ من المعرفةِ.

أنت الآن قد علمتَ مكاني، ولكن، عليك أن تعلمَ _حقًّا_ مَن أنتَ يا سامر.



لم ينتبه سامر للمعنى المقصودِ من سؤالِها، فأخذَ الصندوقَ خارجًا من بيتِ السيدة چود، ولكن، لم يكُن يشغلُ بالَه ما بداخلِه؛ فقد كان كلُّ تفكيرِه في الحربِ، وكيف يأتي بطائرِ الوادي لإنقاذِ حبِّ عمرِه أميمةَ، وأيضًا سارة، مَن اختارَها القدرُ؛ لتُقاسمَها في قلبِه!

كان يسيرُ في هدوءٍ، ولكن، كان بداخلِه قلقٌ وضجَّةٌ عارمةٌ من خوفِه ممَّا سيحدثُ في الأيام القادمة، وعندما وصلَ إلى القصرِ، وجدَ سارة في حالةٍ غَريبةٍ؛ لونُ وجهِها تغيَّرَ كثيرًا بعد أن قبَّلَ جبهتَها، فطلبت منه أن يجلسَ بجوارِها، ثمَّ قالت: أنا أعلمُ ما يسكن بداخلي الآن؛ علمتُ أن روحَ الميامين تسكنُ بطني كما سكنت بطنَ أميمةَ.

كل أرواح المدينة تشعر اذا أحلت روح بداخلهم خصوصًا إن كانت من أرواح الميامين، هي تجعل الجسد من الداخل.. هي جمرة نار لا تنطفيء.

***

طمأنَها سامر قائلًا: هناك حلٌّ؛ لإنقاذِ حياتِكما معًا، وهو دماءُ طائرِ الوادي.

ظهرَ الحبُّ على وجهِ سارة، ولكنَّها قالت: إنَّ الوصولَ إلى هناك صعبٌ جدًا؛ فالميامين لا يرحمون أحدًا؛ هم أرواحٌ شريرةٌ، وعليك أن تكونَ حذرًا في الحربِ معهم، ولذلك؛ عليك أن تعرفَ الكثيرَ عنهم وعن طبيعةِ حروبِهم.

أدركَ سامر أنَّه ليسَ من السهلِ أن يقودَ المدينةَ للحرب بمعلوماتِه البسيطةِ هذه، فقرَّرَ أن يفتحَ الصندوقَ الخشبيَّ الذي أخذَه من الروحِ العجوزِ، فأتىٰ بخنجرٍ حادٍ، ووضعَ الصندوقَ في وضعيَّتِه الصحيحةِ، وجرحَ يدَه برفقٍ، فبدأ الدمُ يتساقطُ على الصندوق، فتذكَّرَ أوَّلَ مرَّةٍ فتحَ فيها الصندوقَ الأوَّلَ، والذي غيَّرَ من وضعَه كملكٍ لمدينةِ العهودِ، العهود تذكر شغفه في قاعة الكنوز

وقتها وقتما بعد أن عرف بعد عناء كبير كيف تفتح الصناديق المغلقة بقفل مدينة العهود والأمر المرتبط بين المشهدين هو شغفه وقلقه من ما سيعرف. والآن، هو يفتحُ الصندوقَ، ولا يدري ما يُخبِّئُه له.

***

لا زالت الدماءُ تتساقطُ على الصندوقِ، ففُتِحَ شكلٍ اعتادَ سامر على رؤيتِه، وهنا، كانت الصدمةُ على عقلِه وقلبه؛ كانت تعلو الأوراقَ صورةٌ لوالدِ سامر، وبجوارِها كانتَ صورةٌ أبىٰ أن يُصدِّقَها؛ صورةٌ بها الشيخ خليل.

كان الصندوقُ به أوراقٌ كثيرةٌ، ولكن، أَخذَ سامر الصورةَ، وبدأ ينظرُ في تفاصيلِها، كانت صورةَ زفافٍ يرتدي فيها الشيخُ خليل ثيابًا أنيقةً، وبجوارِه والدتُه في ثوبٍ أبيضٍ.

لم يكن سامر يمتلكُ صورةً دقيقةً لوالدتِه كهذه، ولكن، كيف تكونُ هذه الصورةُ هنا!

كانَ الأمرُ جنونيًا بالنسبةِ لسامر، وكادَ عقلُه يُجنُّ، ومرَّت عليه دقائقُ حتى هدأً قليلًا، فأخذَ الورقةَ الثانيةَ من الصندوقِ، وكانت الصدمةُ الأكبرُ؛ ورقةُ عقدِ قرانِ الشيخِ خليلِ على والدتِه قبلَ تاريخِ ولادتِه بعامينِ وسبعةِ أشهرٍ تقريبًا!

***

لم يكن سامر يُصدِّقُ ما يقرؤه، وحينها فقط، فهمَ أمرَ الصورةِ التي تجمعُهم.

يبدو أنَّه قد اعتادَ هذه الأمورَ؛ فتحوُّلُه من شابٍ عاديٍّ يعملُ في إحدىٰ محلاتِ العطارةِ إلى ملكٍ لمدنيةٍ بحجم وقوةِ مدينةِ العهودِ، وكلُّ هذا العناءِ الذي يواجهُه قد أصابَه ببلادةِ أعصابٍ، ولو أنَّ هذا الأمرَ قد وُضعِ فيه سابقًا، لَتوقَّفت نبضاتُ قلبِه تمامًا!

كان تحتَ هذا العقدِ والصورةِ دفترٌ ورقيٌّ صغيرٌ، يخصُّ الشيخَ خليل، أخذَه سامر داعيًا أن يجدَ فيه ما

يُوقفُ ضجيجَ عقلِه، ففتحَه، وكانَ أوَّلُ ما خُطَّ فيه اسمَ الشيخ خليل، ومن تحتِه كُتِبَ: "هذه الأوراقُ لك يا سامر، كم تمنَّيتُ أن تعرفَ هذا وأنا حيٌّ، ولكن، الحياةُ دائمًا ما تجبرُنا على أن نعيشَ بأشخاص غيرَ التي بداخلِنا؛ فهذه هي الدنيا، وتلك هي الأقدارُ!

***

في أوَّلِ صفحةٍ.

"سامر خليل نعمان، هذا هو اسمُك"

هذه أولُ مرةٍ أعرفُ فيها اسمَ والدِ الشيخِ خليل.

"سامر، أعلمُ أنَّك أصبحت أقوىٰ ممَّا كنتَ عليه، بينَ يدِك الآن الحقيقةُ كاملةً بكلِّ ما فيها من حزنٍ وفرح، لقد تزوَّجتُ أمَّك لعامينِ وسبعةِ أشهر، وبعدَ سنةٍ وأشهرٍ قليلةٍ تُوفِّيَ والدي، فورثتُ العهدَ منه، وحينها، لم أكن أفهمُ أيَّ شيءٍ، وكانت حالتي أسوأَ منك حين ورثتَ الحكمَ، فبدأت الأمورُ تختلفُ؛ بسبب انشغالي في حكم

المدينةِ، فألهاني ذلك عن والدتِك رغم حبي لها، وبسبب الضغطِ، صارت الأمورُ بيننا لا تُطاقُ، ولم تستطِع أَنْ تُكملَ حياتَها معي؛ فطلبت الانفصالَ، وكانَ لها ما أرادت.

***

ولكن، بعدَ فترةٍ من انفصالِنا، علمت والدتُك أنَّها حاملٌ بك، ولم يكن هذا في الحسبانِ، فحاولتُ إعادةَ الأمورِ إلى طبيعتِها، ولكن، مدينةُ العهودِ لم ترضَ بذلكَ، فأخبرتني والدتُك أنَّها ستتزوَّجُ من شخص آخر، وتذهبُ؛ لتعيشَ معه، وأرادت إن تُسمِّيك على اسم رجل غيري؛ لمجرَّدِ أنَّك وُلدتَ في بيتِه، لكنِّي لم أحتمل الفَراقَ، فتركتُ كلَّ شيءٍ في بلادي، واكتفيتُ بمحلِ العطارة؛ ليكونَ مصدرَ مالي، كنتُ أنظرُ إليك كلَّ يوم وأنا أتألَّمُ؛ فكيفَ يكون ابني أمامي، ولا يعلمُ أنِّي والدُه، فلا أستطيعُ أن آخذَه بين أحضاني!

كنتُ أتأمَّلُ لعبةَ القدرِ، وكيفَ ستكونُ ملكًا للمدينةِ من بعدي!

كنتُ أخشىٰ أن أتزوَّجَ، ويصيرَ لي ابنٌ غيرَك، فهل سيختارُك أهلُ المدينةِ وأنتَ على غيرِ اسمي؟

مرَّت الأيامُ سريعًا، وكلُّ يوم يمرُّ عليَّ في المدينةِ، يصنعُ لي جذورًا قويَّةً بها، فيربطُني بها أكثر، وحينما تزوَّجتُ، كانت عقيمًا؛ حتى لا يرثَ المدينةَ أحدٌ غيرُك".

***

كان سامر يقرأُ هذا الكلامَ وهو في حالة صمت رهيب، كان يتمنَّىٰ أن يكونَ في حلم، أو أنَّ كلَّ هذا لم يحدثْ، تمنَّىٰ لو أن يعودَ كشاب فقيرٍ، يعملُ لدىٰ شيخٍ كبيرٍ في عطارتِه، وتكونَ حياتُه عاديَّةً جدًا.

أغلقَ سامر الدفترَ، ومالَ برأسه قليلًا إلى الخلفِ، وكأنَّه يقولُ لنفسِه: هل لديَّ القدرةُ لتحمُّلِ هذا العناءِ؟

المدينةُ سرقت حاضري، وسلبتني كلَّ ما يربطُني بسامر البسيط، والآن، تتوالى السرقاتُ؛ فقد سرقت الماضي أيضًا، وأصبحتُ لا أعرفُ مَن أنا!

كنتُ أخشىٰ معرفةَ المستقبلِ، والآن، الماضي بيدي، وأخشىٰ معرفتَه أيضًا!

أصبحَ والدي ليس والدي الحقيقيُّ، وأخي لم يعُد أخي، أصبحَ اسمي مختلفًا، وبداخلي شخصٌ لا يعرفُني، أصبحتُ لا أعرفُ نفسي، ولا أعرفُ مَن أكون!

بعضُ الأمور لا نعلمُ خفاياها، والبعضُ منها قد نتمنَّىٰ لو لم نعرفْهَ، أو حتى بحثنا عنه!

كم هي جميلةٌ لحظاتُ الجهلِ أحيانًا!

***

تركتُ هذا الدفترَ، وفكَّرتُ في أُميمة التي صارَ مصيرُها كمصيرِ أمي من الإهمالِ، والعجزِ، والضعفِ، فأدركتُ

أنَّ ما يحدثُ الآن جريمةٌ في حقِّ واقعي وحياتي، فقرَّرتُ أن أعودَ إلى الواقعِ؛ لأكونَ بجانبِ حبِّ عمري أميمة.

عدتُ إليها، وكانت عيناها نضرةً صافيةً كما تعوَّدتُ عليها.

لم يبدأ نقاشُهما بالعتابِ كعادتهما من أوَّل زواجِهما؛ وإنَّما بدأ بعناقٍ طويلٍ، يحملُ شوقًا كبيرًا أصابَ قلبَيهما، وكأنَّ كلًّا منهما يهوِّنُ على نفسِه بهذا العناقِ.

رُبَّما في بعضِ الأوقاتِ نحتاجُ للصمتِ؛ ليتحدَّثَ بدلًا عن الكلامِ، ثَمَّ نظراتٍ تصفُ ما تعجزُ عنه الحروفُ.

***

كانَ سامر في حاجةٍ إلى أهلِه وأصحابِه، فذهبَ إلى أحمد، ووجدَه على عادتِه منذ الصغر؛ يحبُّ الوحدةَ والهدوءَ، رغم الضَّجةِ التي يُحدثُها دومًا إذا اجتمعَ به، أمَّا الآن، فكان يبدو عليه الحزنُ، فألقىٰ سامر عليه السلامَ، وجلسَ يتحدَّثُ معه، وكلَّما حاولَ الاطمئنانَ

عليه، أشارَ برأسِه فقط، فسأله سامر: ماذا بك؟

فأجابَ: لا شيءَ، لكنَّك قد تزوَّجتَ، ونسيتَ أخاك يا سامر، نسيتَ كلَّ شيءٍ، أنا لا أعلمُ ما بك، لكن، صار لكَ حياةٌ وعالمٌ يشغلانكَ عنَّا!

كان سامر يسمعُ حديثَه في صمتٍ؛ فهو يعلمُ أنَّ كلَّ ما ينطقُ به أحمد صحيحٌ، ولكن، لا زالَ إحساسُه تجاهَه كما هو، لا زالَ أخاه الذي يعرفُ عنه ما لا يعرفُه عن نفسِه، حتى وإن عرفَ أحمد أنَّه ليس بأخيه؛ فماذا يساوي هذا الدفترُ مقابلَ ما عاشَه أحمد مع سامر منذ أن خرجا للحياةِ وحدَهما، دونِ أبٍ أو أمٍّ!

***

حينما انتهى أحمد من الحديثِ، بدا على وجهِ سامر اليأسُ؛ فقد أفسدت مدينةُ العهودِ حياتَه هنا، وحياتُه هناك تكادُ تنتهي إذا لم يتمكَّن من الانتصارِ على الميامين!

حاولَ الحديثَ، فخرجَ صوتُه ضعيفًا، مُرهقًا، وفي

هذه اللحظةِ دخلَ إياد صديقُه، وقد أنقذَه من تبريرِ موقفِه لأحمد.

عانقَه إياد عناقَ الخلِّ لخليلِه قائلًا: اشتقتُ إليكَ يا صديقي!

ثمَّ صمتَ، ولكنَّه انتبهَ إلى الجرحِ الذي بيدِه، فسألَه: ماذا أصابَ يدَكَ يا سامر؟

نظرَ سامر إلى يدِه، فوجدَ عليها أثرَ الجرح الذي أحدثَه لفتح الصندوقِ، لكنَّه قال: لا شيء؛ لقد سَقطت حافظةُ الأعَشابِ الزجاجيةُ على يدي.

ثمَّ تابعَ قائلًا: لا بُدَّ أن نجلسَ في منزلي؛ نتناولُ العشاءَ معًا، وسوفُ أذهبُ لوالدِ أميمة، وأخبرُه بذلك.

***

عادَ سامر إلى منزلِه، وفي أثناءِ سيره، نظرَ إلى شوارع بلدتِه الذي لم ينتبهِ يومًا أنَّها جميلةٌ، ولها منزلةٌ في قلبِه، فكانَ

ينظرُ لها نظرةَ اشتياقٍ عجيبةٍ، فحدَّثَ نفسَه قائلًا: لا بُدَّ أن أخوضَ هذه الحربَ؛ لكي أنقذَ حياتي هنا وهناك، إنَّ أرواحَ المدينةِ الطاهرةِ التي أبت أن تنحرفَ عن مسارِها الصحيحِ، وتنجرفَ لعالمِ الجنِّ، لا شكَّ أنَّ لديهم عزيمةً تجعلُني أنتصرُ على الميامينَ، ويجبُ أن تكونَ هذه الحربُ قبلَ أن تلدَ أميمة؛ لأنَّ في ولادتِها قبلَ الحربِ هلاكًا؛ فسارة ستموتُ، وسيخرجُ للعالَمِ ابنٌ باسمي، ولكنَّه يحملُ روحًا عاصيةً، ملعونةً من أرواحِ الميامين.

يبدو أنَّ كلَّ شمسٍ تُشرقُ، تحملُ خطوةً: إمَّا بالحربِ، أو بالسلم، ولكن، لا بُدَّ أن تتمَّ الحربُ في أسرعِ وقتٍ؛ فبعضُ الأشياءُ لا تحتملُ التأخيرَ؛ قد تفقدُ شغفَها، أو تفقدُها كليًّا، لذلك؛ عليَّ أن أكتبَ بيدي تاريخًا لهذه المدينةِ، أكتبُه أنا، سامر، ملكُ المدينةِ، وملكُ العهدِ الأبديِّ.

***

انتهى حديثُ سامر وقتَ أن وصلَ إلى بيتِه، فأراد أن يقطعَ عن عقلِه التفكيرَ في مدينةِ العهودِ، وأَن يكونَ زوجًا حنونًا على زوجتِه فقط.

أخبرَ أميمة بما حدث، وأنَّ عليهما أن يعدَّا مائدةَ عشاءٍ لصديقِه إياد، وأخيه أحمد، ووالدِها، فأشارت برأسِها مُبتسمةً، فشعرَ بسعادتِها؛ لأَنَّه أصبحَ جوارَها، ثمَّ بدآ في تحضيرِ الطعامِ معًا.

كان سامر يساعدُها في إعداد الطعام، ولكنَّه شردَ في ذكرياتِه؛ فكان يتخيَّلُ ما يحدثُ الآن بكلِّ تفاصيلِه، فأرادَ أن يشعرَ بالسعادةِ، ولو فترةً قصيرةً.

قلوبُنا مُنهكةٌ دائمًا، وإن لم تهبّ رياحُ السعادةِ إليها من حينٍ لآخر، فستتهالكُ أكثر، وينتهي بها كلُّ ما كانَ جميلًا يومًا.

***

كانت أميمة تنظرُ إليَّ في فرحةٍ عارمةٍ، والأمرُ واضحٌ

في عينَيها التي أعرفُ لغتَها جيدًا؛ فلا زالت وجنتاها تحمرَّان عندما تفرحُ، أو تستحي من شيءٍ، لم نكن نتحدَّثُ، لكن، قلبانا وأعيننُا لا يكفَّان عن الكلامِ، حتى قلتُ: لقد انتهيتُ من الجزءِ الخاصِ بي.

ظهرَ عليها العجبُ من براعتي في إعدادِ الطعام، فقطعتُ نظرتَها قائلًا: هذه هي مُميِّزاتُ أن تكونَ وحيدًا طولَ عمرِك.

وضعت يدَها على قلبي، ثم مالت تُقبِّلُ رأسي كأمٍّ لا حبيبةٍ.

حينها، ارتفعَ صوتُ أحمد قائلًا: ما هذه الرائحةُ الجميلة! فضحكنا معًا، ثمَّ ذهبتُ؛ لأفتحَ له البابَ، وجلسنا في غرفةِ المنزلِ الخارجية، لكنَّه أرادَ أن يدخلَ إلى غرفةِ إعدادِ الطعام، فمنعتُه قائلًا: انتظر يا أحمد حتى يأتي إياد، ووالدُ أُميمةَ!

***

لم يمرّ وقتٌ طويلٌ حتى سمعنا صوتَ أقدامِهما تقترب، فقد تقابلا عند مدخلِ الحيِّ، وأتيا معًا، فخرجت أميمة؛ لتقبِّلَ يدَ والدِها.

بدأت أميمة في إحضارِ الطعام، ووضعته على مائدةٍ خشبيةٍ بسيطةٍ مغطَّاةٍ بمفرشٍ قماشيٍّ مُطرَّزٍ يدويًّا، وكان _رغم بساطتِه_ أنيقًا جدًا، وما إن انتهت، حتى جلسنا، كلٌّ على مقعدِه، كنتُ أنظرُ لهم مبتسمًا، لكنَّ قلبي يحترق؛ فهذه عائلتي الصغيرة، وكنتُ أنظرُ لأميمة التي عادت بسمتُها على نِكاتِ أحمد وإياد، حتى عمي شهاب، الرجلُ الصامد _بحكمِ وظيفتِه_ يضحكُ بصوتٍ عالٍ!

أدركتُ وقتها أنَّ لديَّ عائلةً لا بُدَّ أن أحافظَ عليها، ولديَّ زوجةٌ يجبُ أن أخوضَ الصعابَ؛ لأجلِ سلامتِها، لأجلِ أن نكملَ حياتَنا معًا.

كنتُ موجودًا معهم، ولكنِّي شعرتُ بأنَّ قلبي يودِّعُهم، وكأنَّه اللقاءُ الأخير!

***

كانَ قلبي يدقُّ بشدة؛ فرحًا وخوفًا في آنٍ واحدٍ، رُبَّما الدنيا غيرُ منصفة؛ فأحيانًا، تُعطيكَ السعادةَ، ولكن، تجعلُ في عقلِك أفكارًا تُفقدُك لذَّتها!

وكعادةِ الأوقاتِ المُبهجةِ، مرَّ اللَّيلُ سريعًا، ولكنِّي لم أشعر بسعادةٍ غامرةٍ هكذا قبلًا؛ لقد اقتبستُ أوقاتٍ قليلةً جدًا لفرحي، وكانت أميمة أكبرُ أسبابِ سعادتي، وأنا مُمتنٌّ لها على كلِّ وقتٍ ابتسمتُ فيه بسببِها، ولكنِّي الآن _رغم ابتسامتِها التي أراها_ سببُ أوجاعِها.

خرجَ إياد وأحمد بصحبةِ والدِ أميمة إلى بيوتِهم، وكنتُ أجلسُ على كرسيٍّ خشبيٍّ قديم، فأتت أميمة، وجلست على قدمي، ولفَّت يدَها حولَ عنقي، كانَ قلبُها يدقُّ فرحًا، وأعلمَ أنَّ سببَ ذلك وجودي جوارَها، ولو يومًا واحدًا.

كم سلبت مني المدينةُ مثل هذه الأوقاتِ!

***

حملتُها بين يديَّ مُتَّجِهًا إلى الغرفةِ؛ أردتُ أن تكونَ هذه اللَّيلةُ لها وحدَها؛ أدلِّلُها فيها، فاسترخت بين أحضاني، وجعلت من كتفي وسادةً لها، ثمَّ بدأت تحكي عن الأيامِ التي كنتُ أجلسُ فيها على القهوةِ المجاورةِ لغرفتِها؛ كيَ أراها كلَّ يوم بعد نهايةِ العملِ في محلِّ الشيخِ خليل الذي يرفضُ لسانيَ أن يقولَ أبي قبلَ اسمِه!

كانت تحكي كلَّ الأحداثِ، وتفرحُ، وكأنَّها تعيشُها الآن، فأحكمتُ يدي عليها، وضممتُها إلى صدري بشدةٍ؛ كنتُ أحتاجُ هذا العناقَ أكثرَ منها، ورغمَ كوني ملكَ مدينة العهود التي رأيتُ بها ما لا يحتملُه إنسانٌ، أو يصدِّقُه عقلٌ، إلَّا أنَّ قلبي لا يزالُ يحبُّها كأولِ لقاءٍ بيننا.

مهما كان حجمُ قوتِك وغلظتِك، هنك قلوبٌ تكون بين يدَيها عصفورًا لا يقوىٰ على شيءٍ، عصفورًا سجينًا بين ضلوعِ هذا القلبِ الذي يُترَكُ مفتوحًا دائمًا؛ فهناك

بعضُ السجون قد نأبىٰ الخروجَ منها.

***

ظلَّت تتحدَّثُ، حتى أغمضت عينَيها، ونامت، فأدركتُ أنَّ وقتَ السعادةِ قد انتهي، وعليَّ أن أعودَ لضجيج المدينةِ مرةً أخرىٰ، ولكنِّي سأعودُ بدافع الحفاظِ على واقَعي الجميلِ هذا؛ لن أتركَ المدينةَ تأخذُ كَلَّ جميلٍ لديّ، بل سأصنعُ الجمالَ بها، ألستُ أنا سامر، حاكمَ العهدِ الأبديِّ الذي اختارتني المدينةُ منذ آلافِ السنين! إذًا، لا بُدَّ أنِّي أمتلكُ قوةً لم أكتشفْها بعد!

كانَ الجوُّ باردًا ومُمطرًا، فأخذتُ ورقةً، وبدأتُ أكتبُ لأميمة بعضَ الكلماتِ الأخيرةِ؛ فلا أعلمُ إن كنتُ سأستطيعُ العودةَ إلى هنا مرةً أخرىٰ، أم سأموتُ هناك دونَ أن يهتمَّ أحدٌ، أو يعرفَ ما سيحدثُ لي! فقد ماتَ الشيخُ خليلٌ، الملكُ المعظَّمُ للمدينةِ، ولكن، لم يبدُ عليه يومًا أنَّه رجلٌ بسيطٌ، يملكُ محلَّ عطارةٍ فقط!

كتبتُ في هذه الورقةِ لأميمة ما لم يتِح لي الوقتُ أن أقولَه يومًا؛ فلم أكن أقوى على إخبارِها به، كتبتُ ما كانَ في قلبي، وما في قلبي يكفي حقًّا، وكلُّ ما كتبتُه لا يصفُ إلَّا قليلًا منه.

***

خرجتُ وكان الجوُّ ممطرًا، ولكن، حرارةُ جسدي لا تُشعرُني بالبردِ، كنتُ أمشي كسجينٍ ذاهبٍ لتنفيذِ حكمِ الإعدامِ عليه، كنتُ أنظرُ إلى الحيِّ الذي عشتُ فيه طفولتي، حتى وإن كانت بائسةً وحزينةً، ولكنِّي أحبُّها جدًا.

لم أشعر بخوفٍ مثلَ هذه الليلةِ، ليس خوفًا من الميامين إطلاقًا، ولكن، خوفًا على أسرتي وحبيبتَيَّ هنا وهناك؛ فقد يُحرَقُ الجميعُ بنارِ هذه القبيلةِ الملعونةِ.

أوقفَ كلَّ تفكيري صوتُ أذانِ الفجرِ، فأخذتني قدمي إلى المسجدِ؛ كي أصلِّي، وكنتُ قد اعتدتُ أن أصلِّيَ

في مكاني دائمًا، ولم أسعَ للصلاةِ في المسجدِ كثيرًا، ولكن، جذبَني صوتُ الأذانِ، فدخلت، وكان بيتُ اللهِ هادئًا، ومريحًا جدًا، كعادةِ بيوتِ اللهِ.

كنتُ أغتسلُ من حزني وهمي هناك، ثمَّ صلَّيتُ للهِ ركعتين، حتى قامَ الإمامُ للصلاةِ، وكان صوتُه جميلًا بشكلٍ لا يصدَّق، ويقرأُ القرآنَ بطريقةٍ تشرحُ الصدورَ، ولمَّا انتهت الصلاةُ، هممتُ أن أخرجَ، فناداني إمامُ المسجدِ باسمي، فسألتُه مُتعجِّبًا: أنا!

***

قال: نعم، أنت يا سامر.

فسألتُه: هل تعرفُني يا شيخ!

قال: نعم، اجلس هنا.

ففعلتُ ما قال، ثمَّ سألَني عن حالي، فقلتُ: الحمدُ للهِ، فتابَعَ قائلًا: لقد فرحتُ كثيرًا برؤيتِك في صلاةِ الفجر؛

فأنت شابٌ أسمعُ عنه كلَّ خيرٍ، لكن، تنقصُك الصلاةُ!

وكعادةِ كلِّ مُقصِّرٍ في حقِّ ربِّه، كان يستمعُ وينصتُ في صمتٍ، ولكن، كانَ كلامُه جميلًا حقًّا، لا تملُّ من سماعِه.

صمتَ الإمامُ قليلًا، ثمَّ قالَ: كلُّ إنسانٍ لديه الجمالُ والقوةُ والذكاءُ يا سامر، ولكن، اللهُ يؤتيك ما تحتاجُ إليه في الوقت الذي تحتاج فيه إلى تلك النعمةِ، لم يخلق اللهُ إنسانًا يختلفُ عن أخيه، ولكن أنت من تقرِّرُ كيف ستكونُ حياتُك، وعلى أيِّ وجهٍ تعيشُ تلك الحياةَ، فابحث عن هبةِ اللهِ في قلبِك، ستجدُ كلَّ ما تسعىٰ إليه، وتريده.

***

كانَ الكلامُ يدقُّ قلبي دقًّا، فهمَّ بالخروجِ، فوقفتُ حرجًا، ثم أغلقَ بابَ المسجدِ، وبدأ يسيرُ إلىَ بيتِه الذي قبلَ محلِ العطارة بقليل، كان يكملُ حديثَه حتى وصلَ إلى بيتِه، فصافحني، ثمَّ وضعَ يدَه على كتفي قائلًا: إن لم

تكن على قدرِها، لم يجعلْك اللهُ لها يا سامر.

ثمَّ دخلَ إلى بيتِه، فبدأتُ أردِّدُ هذه الكلماتِ حتى وصلتُ إلى محلِّ العطارةِ.

لم أكن أصدِّقُ ما يحدثُ داخلي بعدَ الحديثِ مع هذا الشيخِ الذي لا أعرفُ اسمَه حتى، ولكن، في أوقاتِ الضعفِ، يمدُّ القدرُ لك يدَ المساعدةِ على هيئةِ بشرٍ لا نعرفُهم، ثمَّ يضعُ في قلبك قليلًا من القوةِ، وكثيرًا من الأملِ؛ فهذه هي الحياةُ، إن كانت ظالمةً يومًا، فربُّ الحياةِ منصفٌ كلَّ يومٍ.

***

دخلتُ إلى المحلِّ، كانَ قلبي متحمسًا، أغلقتُ البابَ من الداخلِ، ثمَّ نزلتُ إلى المعملِ، كانَ الجوُّ كعادتِه دافئًا جدًا في الأسفل.

أخذتُ العصا التي تركَها لي الشيخُ خليل وكتابَ العهدِ، ولكن، قبلَ أن أذهبَ إلى المدينةِ، أردتُ أن أنزلَ

إلى قاعةِ الكنوزِ، فنزلتُ إليها، وجلستُ بين لوحاتِ الحروبِ القديمةِ، أمسكتُ اللوحةَ التي أقفُ بها وفي يدي سيفٌ كبيرٌ عند قمة الجبلِ الأسودِ، والدماءُ تتساقطُ من يدي، ويخرجُ من تحتِ قدمي أرواحٌ تشبهُ أرواحَ أهلِ المدينةِ، لم أكن أستطيعُ التوقُّفَ عن النظرِ إلى هذه اللوحة، رغم أنَّها لم تكن أولَ مرةٍ أراها، ولكن، المرةُ السابقةُ عرفتُ منها كيف يُفتَحُ صندوقُ العهدِ الأبديِّ الذي أخبرَني أنَّني أصبحتُ حاكمَ مدينةِ العهود، وأين يكونُ سيفُ القوةِ.

شعرتُ بشخص جانبي، وعلمتُ أنَّه الحارسُ، دخلَ، وألقىٰ التحيَّةَ قائلًا: يحيا الملكُ المعظَّمُ سامر، فأومأتُ برأسي.

كانَ يبدو أنَّه يريدُ قولَ شيءٍ ما، فتحدَّثَ سريعًا: هناك شخصٌ من أرواحِ أهلِ المدينةِ قد خرجَ عن العهدِ.

***

لم أهتم لذلك كثيرًا؛ فما الأمرُ الخطيرُ في ذلك، فقد قرأتُ في كتابِ الشيخِ خليل أنَّ هناك أرواحًا كثيرةً خرجت عن العَهدِ، فطُرِدَت خارجَ المدينةِ، ولكن، يبدو أنَّ هذا الشخصَ مختلفٌ عنهم، فسألتُه: مَن يكونُ هذا الشخصُ الذي يجعلُك تأتي؛ لكي تخبرَني عنه؟

قال: لم آتِ من تلقاءِ نفسي؛ لقد أرسلَتني إليك السيدةُ چود.

فهتفتُ مُتعجِّبًا: ماذا!

أهي تُحدِّثُك!

قالَ: نعم.

فأخبرتُه أن ينصرفَ، فانصرف.

أخذتُ هذه اللوحاتِ، وقرأتُ العهدَ، ثمَّ انطلقتُ إلى المدينةِ سريعًا، مُتوجِّهًا إلى بيتِ السيدةِ چود، ولمَّا وصلتُ، سألتُها: ما الأمرُ؟

لَمَ لم تخبريني بكلِّ ما تعرفينَه عن المدينةِ؟

أنا دائما أبحثُ عن كلِّ سرٍّ هنا، وهناك أمورٌ خفيَّةٌ تحدث!

كانَ يبدو الحزنُ على وجهي حقًّا، فقامت في صمت، ووضعت يدَها على قلبي، ثمَّ قالت: أنت الآن لن تجِدَ من يُعينُك على هذه الحربِ.

فقلتُ: كيف! أخبريني؛ فهذه المدينةُ ليست صغيرةً!

فقالت وهي تبكي بشدَّةٍ: سامر، إنَّ الأرواحَ لن تذهبَ معك للحربِ!

***

فصِحتُ: ماذا!

وكيف لأرواحِ أهلِ المدينةِ أن تعصيَ الحاكمَ وملكَ المدينةِ!

كيف لهم أن يتركوا الميامين وبني الدهمان يمكثون في

أرضِهم، ويستحوذونَ عليها!

صمتت قليلًا، ثمَّ دارت حولي ببطء شديدٍ قائلةً: لقد قلبَ أخوك عليك الطاولة!

فصِحتُ ثانيةً: ماذا! أخي!

فأجابت: أجل، أخوك، لقد خرجَ عن العهدِ وخرجَ من المدينةِ.

قلتُ: كيف هذا!

ماذا تقولين!

وهل انتقلَ أحمد إلى هنا!

يبدو أنَّكِ جُننتِ، ولستِ واعيةً لما تقولين!

فقالت: الذي خرجَ عن العهدِ ليس أحمد يا سامر، وكيف له أن يخرجَ عن العهدِ، وهو لم يدخل المدينةَ من قبلُ!

ازدادت حيرةُ سامر، حتى قالت: الذي خرج عن

العهد هو أخوك ساحِر، أخوك في مدينةِ العهودِ، وُلِدَ يومَ وُلدتَ أنتَ يا سامر، إنَّه ابني من أبيكَ الملكِ المعظَّمِ خليل.

***

كانَ الأمرُ غريبًا عليَّ؛ فلم أشعر بكسرةِ قلب، ولم أنزعج حتى، فاستغربَت السيدةُ جود، وقبل أن تتحدَّثَ ثانيةً، قطعتُ هذا الحديثَ قائلًا: عليكِ أن تفهمي أنَّ هذه المدينةَ مدينتي، وأنا لا أثقُ بكِ حتى، ولا أعلمُ عمَّن تتحدثين، وإن كانَ لي أخٌ حقًّا، فأنا لم أسمع عنه سابقًا؛ لقد خضتُ الحروبَ، وربحتُها، ومرَّ السيِّئُ والأسوأُ، وانتصرتُ دونَه، فما المشكلةُ إن أكملتُ المسيرَ بدونِه، ولتعلمي أنَّني الملكُ، ليسَ هو.

صمتت قليلًا، ثمَّ قالت بصوتٍ مُغتاظ: السيِّئُ أنَّ الملكَ سمَّاه ساحِرًا؛ ليكونَ قويًّا؛ فهو اسمٌ يدلُّ على القوةِ بينَ أرواحِ مدينةِ العهودِ، وكانَ يخبرُه بكلِّ الأمورِ

الصعبةِ، لذلك؛ هو يعرفُ نقاطَ قوةِ المدينةِ جيدًا، كما يعرفُ نقاطَ ضعفِها أيضًا، وهذا ليسَ أسوأَ الأمورِ؛ إنَّما الأسوأَ حقًّا أنَّه لم يخرج عن العهد وحده ولكن معه قائد الجيش معتصم خرجا عن العهدِ، بل وتحالفا أيضًا مع قبيلة الميامين!

***

وهنا، كانت المُصيبةُ التي لم يستطِع سامر الثباتَ عندَها، فصرخَ في وجهِها، وحطَّمَ كأسَ الإنارةِ في غرفتِها، ثمَّ خرجَ غاضبًا، ولمَّا وصلَ إلى القصرِ، كانَ صوتُ أنينِ سارة واضحًا، فصعدَ إلى غرفتِها، ليَجدَها في حالةٍ سيِّئَةٍ؛ فوجهُها يبدو عليه التعبُ، وكانت تتوسَّل إليه أن يُعجِّلَ الحربَ؛ فهي لا تريدُ الموتَ الآن؛ بل تريدُ العيشَ بجانبِه.

كانَ قلبُ سامر يتمزَّقُ كقطعةِ قماشٍ في مهبِّ الريح، يتلاعبُ بها كيف شاءَ؛ فهنا سارة تموتُ ببطءٍ وهي تعلَمُ

ما بها، وأُميمة هناك لا تعلمُ أيَّ شيءٍ، ولكنَّها سعيدةٌ؛ لكونِها حاملًا!

الأمرُ أصبحَ كطفلٍ يخطو نحو الهاويةِ، وهو لا يعلمُ، وأمٍّ يحترقُ قلبُها، ولاً يسعفُها الوقتُ؛ لإنقاذِه!

عقلي سينفجرُ من كثرةِ الأمورِ التي بداخله، والحياةُ سيئةٌ جدًا؛ لا تعطيك الراحةَ إلَّا بعد عناءٍ تستحقٌّ عليه تلك الراحةَ!

***

المدينةُ الآن خاليةٌ، والأرواحُ اهتزَّت ثقتُها، ووضعُ القائدِ المعتصم على رأسِ الجيشِ طوالَ هذه المدةِ كانَ مصدرَ قوتِه وخروجِه عن العهدِ، بهذا الشكل وفي هذا الوقت بالتحديد.لابد أن يهزمهم قبل الهزيمة الكبرى لذلك؛ لا بُدَّ أن يهزمَهم قبلَ الهزيمةِ الكبرىٰ.

شعرَ سامر بخيبةٍ كبيرةٍ، فحدَّثَ نفسَه قائلًا: عحيبه هي الأمورُ؛ فأحيانًا تهزمُك دون حربٍ، فتُكسَرُ من أخٍ

لم تره حتى بعينك، لكن، الآن حربي ليست من أجل المدينةِ فقط، بل من أجل أُميمة وسارة، ومن أجل أرواح بسيطةٍ تمنَّت أن تعيشَ في أمانٍ، لا بُدَّ أنَّ هناك حلًّا لهذه المشكلةِ، وكما جاءَ في القصصِ القديمة، ما دمتُ أنا صاحبَ العهدِ الأبديِّ، فلا بُدَّ من حلٍّ، فلن تكونَ هذه هي نهايةُ مدينةٍ عاشت آلافَ السنين!

الحربُ لي، ولن أقبلَ إلَّا النصر؛ فلن أدعَ المدينةَ تُحطِّمُ الواقعَ والخيالَ معًا، لذلك؛ يجبُ أن أتحدَّثَ إلى أرواح أهلِ المدينةِ، وعليهم أن يسمعوني جيدًا؛ فلعلَّ هذا الخطابَ هو الخطابُ الأخيرُ لهم!

***

ناديتُ الحارسَ، وذهبنا إلى قمةِ الجبل الأسود، ورفعتُ السيفَ، فتغيَّرَت كلُّ معالم المدينة؛ لتُشكِّلَ مكانَ الحربِ، أصدرت الأرواحُ صوتًا قويًّا تحتَ الجبلِ، لكنِّي لم أرهم في حالةِ خمولٍ كهذه من قبلُ!

أنا لا أجيدُ الخطابَ، ولكن، يجبُ أن أقولَ ما يخشون أن يسمعوه منذ آلافِ السنينِ، فبدأتُ قائلًا: أرواحَ أهلِ المدينةِ، رغم قوتِكم، أنتم ضَعفاءُ، القوةُ أن تعرفَ ماذا تريد، وماذا تفعل، وأن تخطو نحو هدفِك وإن كانت خطوتُك تعني الموت؛ ولكن، الموتُ نحو الهدفِ أفضلُ من الموتِ حسرةً عليه.

الميامين سيعبثون بكم، ويحطمون عهودَ أجدادِكم منذ آلافِ السنين! سيُمحىٰ كلُّ شيءٍ هنا، سيُمحىٰ الخيرُ الذي تعاهدتم عليه، وأنا كملك للمدينة، وقبل أن أكونَ ملكًا، فأنا بشريٌّ ليس من جنسِكم، ولكنِّي واحدٌ منكم، وسينتهي حلمي إن انتهى العهدُ بالهزيمةِ، ستكونُ أسوأَ ذكرى في حياتي هي حكمي لكم، ووجودي هنا يومًا ما.

***

الآن، أنا سوف أحاربُ من أجلِ هذا العهدِ، من أجلِ حلمي، ومن أجلِ كلِّ روحٍ هنا تؤمنُ أنَّ العهدَ الأبديَّ

هو المنقذُ، سوف أحاربُ، وأحملُ سيفي، وإن كنتُ بمفردي، فلن أدعَ العهدَ الأبديَّ، ولن أدع مدينتي.

وقتها، صرخَ الحارسُ صرخةً اهتزَّت لها المدينةُ كلُّها، وارتفعت أصواتٌ بين الأرواح التي عادَ الشغفُ لهم مرةً أخرى، بالتأكيد، هناك أرواحٌ لم يغيِّر كلامي بداخلِهم شيئًا، ولكن، مع الوقتِ سوف يزيدُ الشغفُ في كلِّ لحظةِ، بدأتُ أهتفُ معهم، وأنا أقولُ: النصرُ قريبٌ، والحلمُ باقٍ. لازل في قبضة يدينا أن عزمنا عليه بقلب واحد وعين تعرف كيف تصبب الهدف.

رأيتُ روحَ السيدةَ چود بينهم، كانت وكأنَّها تنظرُ لي، ولكنِّي لم أهتم؛ فكنتُ أودُّ أن أخبرَ أهلَ المدينةِ عمَّن خرجا عن العهدِ، فقلتُ: إنَّ القائدَ المُعتصمَ خرجَ عن العهدِ، وجيشُ أرواح أهلِ المدينةِ سيُجهَّزُ مع قائدٍ آخر، وسوف أخبرُكم عنه قَريبًا، أمَّا الآن، فاذهبوا.

وضعتُ السيفَ في مكانه، فعادت كلُّ الأرواحِ إلى

بيوتِها، وعادت المدينةُ إلى طبيعتِها.

***

كانَ يجبُ أن أختارَ قائدًا للجيش، يكونُ قويًّا، شجاعًا، ولا يخشىٰ شيئًا، فأخبرتُ الحارَسَ أن يُحضرَ حيوانًا مفترسًا يشبهُ الأسدَ، ولكنَّهُ أكبرُ منه حجمًا، وطلبتُ منه أن يتركَه في شوارع المدينة ليلًا، وقبلِ أن يخرجَ، أحضره لي، فأتىٰ به، وكانَ يعرفُ أنَّني ملكُ المدينةِ، فأشرت له بعصا العهدِ الأبديِّ، فجلسَ بين يديّ، ولم يتحرك، فوضعتُ يدي على رأسِه، وتحدَّثتُ إليه دونَ كلام، أخبرتُه أن يرفعَ زئيرَه بين بيوتِ أهلِ المدينةِ، ولا يخشىٰ أحدًا حتى يبارزَه واحدٌ منهم، وأرىٰ في عينَيه الشجاعةَ، وحينها، ينسحبُ بعد أن يبارزَه هذا الشخصُ، ثمَّ أمرتُه بالانطلاقِ بين البيوتِ مشيرًا بالعصا، فانطلق كنيزكٍ ملتهبٍ يطيرُ بين الشوارعِ.

امتلأت قلوبُ الأرواحِ رعبًا، وهم على هيئتِهم

البشريةِ، ولا يستطيعُ أحدٌ أن يتحوَّلَ إلى روحٍ إلَّا بعد أن يحملَ سامر الملكُ سيفَ الجبلِ الأسودِ.

***

أتى الصباحُ الأسوأُ على أهلِ المدينةِ، فكانَ الذعرُ في كلِّ مكانٍ، وصوتُ زئيرِ ذلكَ الوحشِ المفترس يملأُ الشوارعَ، كانَ الخروجُ عبارةً عن انتحارٍ، ظلَّ الوضعُ هكذا، وكانت أرواحُ أهلِ المدينةِ تهتفُ من داخلِ البيوتِ: يحيا الملكُ سامر المنقذُ.

وهذه إشارةٌ؛ لكي ينقذَهم ممَّا هم فيه، لكنَّه لم يلبِّ النداءَ، ولم ينتبه لما يقولونَه.

مرَّ يومان على هذه الحال، وصوتُ هذا الحيوانِ يملأُ المدينةَ ضجيجًا، ولم يخرج أحدٌ لمواجهتِه.

كانَ سامر ينظرُ من شرفةِ القصرِ إلى المدينة، فحدَّثَ نفسَه: أليسَ في أهلِ المدينةِ شجاعٌ واحدٌ! إذًا، فكيف لأرواحٍ كهذه أن تنقذَ مدينتَها!

بدأ اليأسُ يتسلَّلُ إلى قلبه، حتى جاءَه الحارسُ يخبرُه أنَّ السيدةَ سارة في حالةٍ صعبةٍ جدًا، فصعدَ إلى أعلىٰ، فرأها ضعيفةً، وضعفُها هذا يزدادُ يومًا بعد يومٍ!

***

الآن، أصبحت كلًّا من أُميمة وسارة في شهرِهما السابع، حينها، خطرَ ببالِ سامر: ماذا لو أنجبت أُميمة هذه الروحَ في الشهرِ السابعِ، فهل ستموتُ سارة، وينتهي كلُّ شيءٍ!

إنَّ الوقتَ يمرُّ، ويُشعرُه ذلك بخيبةِ أملٍ كبيرة.

أمسكَ يدَ سارة، وقبَّلَ جبينَها، ثمَّ همسَ في أذنها: لا تقلقي، أنا أحبُّكِ، وسوفَ أفعلُ المستحيلَ؛ لأَبقيَكِ بجانبي؛ فأنا لا قيمةَ لي بدونك.

كانت رغمَ ضعفِها تقبضُ على يدِه بشدَّةٍ، وعيناها تذرفان الدمعَ، ولا تستطيعُ أن تحكي الكثيرَ، ولكنَّها قالت: أنا أثقُ في الملكِ العظيمِ سامر، وإن حدثَ لي

مكروهٌ، فأنا أثقُ أيضًا أنَّ الملكَ لن يتركَ حقَّ زوجتِه.

جلسَ سامر على جانبِ الفراشِ، ومسحَ على خدَّيها برفقٍ، وهي لا تملُّ من النظَرِ إليه، حتى أغمضت عينَيها، ونامت، وحينها، حدثَ الأَمرُ الذي كانَ ينتظرُه؛ لم يعُد يسمعُ صوتَ الزئير.

***

خرجَ والحارسُ إلى شوارعِ المدينةِ، كانت الشمسُ على وشكِ الشروقِ، فمشى، حتى وصلَ إلى منتصفِ المدينةِ، فوجدَ شابًا يافعًا بعضَ الشيءِ، كان صدرُه عاريًا، وبه آثارُ مخالبِ هذا الحيوانِ، وكانت الدماءُ تنزفُ من بعضِ جسدِه، وبيدِه سيفٌ قديمٌ، ربَّما كان لمحاربٍ ماتَ منذَ زمنٍ، فسألَه: ما اسمُك؟

أجابَ الفتى: اسمي شبل.

حينها، شعرَ سامر أنَّ هناك أملٌ في الانتصار، ثمَّ أخرجَ سيفَه، وأصدرَ صوتًا اهتزَّت له المدينةُ، فخرجَ كلُّ

مَن فيها إلى الساحة، كانَ شبل محنيًّا على قدمِه، وصدرُه لا زالَ ينزفُ.

كانت الناسُ تنظرُ إليهما، ولا أحدَ يفهمُ شيئًا، فأدخلَ سامر سيفَه، وأشارَ بعصا العهدِ الأبديِّ، فأتى الحيوانُ المفترسُ إلى الساحةِ بهيئتِه المرعبةِ للجميعِ.

***

قالَ سامر: الكلُّ يعلمُ أنَّ قائدَ الجيشِ قد خرجَ عن العهدِ، ولم يعد لدينا قائدٌ للجيشِ هنا، وكان لكلٍّ منكم الفرصةَ، لكي يصبحَ قائدَ الجيشِ.

ردَّت أحد الأرواحِ: وكيف لنا أن نصبحَ على رأسِ الجيشِ؟

فكانت المفاجأةُ أنَّ مَن يتقدَّمُ ويبارزُ هذا الحيوانَ، فهو قائدُ الجيشِ، ولكن، لم يجرؤ أحدٌ منكم على التقدُّمِ خطوةً واحدة.

ثمَّ أشارَ إلى شبل قائلًا، والآن، هذا هو قائدُ جيشِ مدينةِ العهودِ، الشاب شبل.

بدا الاندهاشُ على وجوهِ الجميع، حتى شبل لم يكن يتوقَّعُ هذا، فبدأت الأرواحُ تتهامَسُ فيما بينها: كيف يمكنُ لمثلِ هذا الفتىٰ أن يكون قائدًا!

***

ظلَّ سامر يراقبُ حديثَهم، حتى قطعَه وهو يطرقُ بعصا العهدِ الأبديِّ على الأرضِ، فانشقَّت من تحتِه، ثمَّ قال: الآنَ يتحدَّثُ بعضُكم إلَى بعض عليه، ولكن، انظروا، أنتم الآن خارجَ بيوتِكم، ومَن أخرجَكم، وحرَّرَكم هذا الشابُ الضعيفُ؛ إنَّه أكثرُكم شجاعةً إن لم يكن أقواكم، ولكن، ما فائدةُ القوةِ إن لم يمتلكْها قلبٌ شجاعٌ، أمَّا الآن، فشبل هو قائدُ الجيشِ، وكلُّ الأرواحِ تحتَ قيادتِه.

ثمَّ أشارَ إلى الحيوانِ مُتابعًا: أنتَ كالحصانِ له، هو

قائدُك.

وأشارَ لشبل قائلًا: هو لك.

كان شبل يتصبَّبُ عرقًا، ولكنَّه ما زالَ واقفًا على قدميه، كانَ الأمرُ غريبًا حتى ألقىٰ إليه سامر عصا العهدِ الأبديِّ، وما إن أمسكَها، حتى تبدَّلَ حالُه؛ فقد التأمت جراحَه، وبرزت عضلاتُ صدرِه، وصارت عينَيه أقوىٰ، وكان بها من الشجاعةِ ما يكفي.

***

والآن، جاءُ الخبرُ الأهمُّ، كلُّ الأرواحِ تستعدُّ؛ فسوف نخرجُ للحربِ خارجَ المدينةِ؛ فلن نعيشَ تحت تهديداتِ بني الدهمان والميامين، ومَن لم يستطِع أن يرفعَ السيفَ من على عنقِه، فلينحر نفسَه، ولا يعش ذليلًا ليوم واحدٍ، ثمَّ وجَّه كلامَه لشبل قائلًا: شبل، عليك بإعدادِ الأرواحِ في أسرع وقت، أريدُ جيشًا لا يخشىٰ الضعفَ، ولا يقبلُ إلَّا النصرَ، فأومأَ شبل برأسِه، ثمَّ ذهبَ الملكُ، ومن خلفِه

باقي أرواحِ أهلِ المدينةِ.

ذهبَ سامر إلى السيدةِ چود، وطلبَ منها أن تكونَ بجانبِ سارة في هذه الأيام؛ فقد كانَ يبدو عليها التعبُ الشديدُ، وكتبَ خطابًا إلى أخيه أحمد، وأمرَ الحارسَ أن يضعَه أمامَ منزلِه، وطلبَ فيه أن يعتني بأُميمة، ويبقى بالقربِ منها دائمًا، وإن لم يعُد خلال الشهرَين القادمَين، فسيكونَ قد انتهىٰ أمرُه، وحينها، يكونُ كلُّ شيءٍ لأحمد.

***

فتحَ أحمد البابَ صباحًا، فوجدَ هذه الورقةَ مطويَّةً، ففتحَها، وبدأ يقرأُ ما بها، لم يكن يعلمُ ما يحدثُ، وما جعلَ سامر يقولُ هذا الكلامَ؛ فلم يكن سامر يحبُّ المزاحَ أبدًا، إذًا، لا بُدَّ أنَّ الأمرَ ليس بهيِّنٍ!

لقد كانَ _طولَ الفترة الماضيةِ_ يُحدِّثُ نفسَه عن حالِ سامرٍ، ولكنَّه كانَ يعتقدُ أنَّ هذا التغيُّرَ بسبب زواجه من أُميمة، ولكن، لم يكن هذا هو السببُ، ولا يعلَمُ

ماذا يجري! فأخذَ الورقةَ، وذهبَ إلى إياد صديقِ سامر من بدايةِ عمرِه، ولكنَّه بعد أن انتهى من قراءةِ الورقةِ، لم يفهم منها ما يحدثُ أيضًا، ولكن، إن كانَ سامر في مصيبةٍ، فمَن سيكونُ بجانبِه إن لم نكن معه! وأين هو الآن؟

كانَ الأمرُ جنونيًّا بالنسبةِ لهما، ولكن، على أيَّةِ حالٍ، فلا يجبُ أن يعلمَ أحدٌ بأمرِ هذه الورقة.

***

ولكن، علينا أن نبحثَ عن أيِّ سبيلٍ يوصلُنا لسامر؛ فلا يجبُ أن تسيرَ الأمورُ هكذا!

كان يبدو عليهما الحزنُ؛ فهما يعرفان سامرًا جيدًا، لا يعبثُ أبدًا بما يقولُ، ولا بُدَّ أنَّ الأمرَ خطيرٌ حقًّا، فدعوا اللهَ أن يُعيدَه سالمًا، وألَّا يرَيا فيه مكروهًا.

كانَ سامر بالقربِ من الجبلِ الأسود، فصعدَ الجبلَ، ثمَّ جلس على الكرسيِّ، ولم يكن يحملُ السيفَ وقتها،

كان يفكِّرُ في الحربِ، وكيف سيكونُ الحالُ في وادي نيران؟

وهل ستكونُ المدينةُ لهم بعد هذا اليومِ، أم أنَّ الأمورَ ستتغيَّر؟

هل عصا العهدِ الأبديِّ، وشجاعةُ شبل التي سيغرسُها في أرواحِ أهلِ المدينةِ كافيةٌ، أم لا؟

وهلِ خروجُ ساحِر وقائدِ الجيشِ المعتصمِ عن العهدِ سيجعلُ الأمرَ خطيرًا أكثر؛ فهم يعرفون نقاطَ ضعفِنا!

إنَّ الأمرَ أصبحَ أسوأَ بكثيرٍ ممَّا كانَ عليه.

***

كانت الأسئلةُ تدورُ في رأسِه، وهو يعبثُ بحُبيباتِ الرمالِ السوداءِ على قمةِ الجبلِ، فهل سيكونُ الصياحُ في المرةِ القادمةِ صياحَ نصرٍ، أم سيكونُ خيبةَ الهزيمةِ؟

كشفت عصا العهدِ الأبديِّ عن شيءٍ لامعٍ تحتَ

حُبيباتِ الرمالِ، فنزلَ عن كرسيِّه، فإذا بها قلادةٌ ذهبيةٌ، ولكنَّها مُثبَّتةٌ في الأسفلِ، فبدأ في نزعِ الرمالِ عنها، وكانَ الأمرُ الأغربُ أنَّ أسفلَ الرمالِ بابًا شديدَ السوادِ، وما إن وضعَ سامر يدَه عليه، حتى تغيَّرَ لونُه، وبدأَ يظهرُ عليه وشمُ المدنيةِ.

كان سامر ينتظرُ ما سيحدثُ، ففُتِحَ البابُ كاشفًا عن سرداب صغيرٍ، لكنَّه مظلمٌ، فدخلَه زحفًا على بطنِه، حتى سَقطَ في مستنقعِ ماءٍ، وسقطت فيه العصا، فظلَّ يبحثُ عنها حتى وجدَها.

***

وما إن أخرجَها من الماءِ حتى تغيَّرَ كلُّ شيءٍ؛ فبدأت النيرانُ تشتعلُ في كلِّ مكانٍ، وظهرَت على الجدران أشياءُ كثيرةٌ، وكان على كلِّ جدارٍ وشمُ المدينةِ، يبدو أنَّ المدينةَ لا زالَ لديها من الأسرارِ الكثيرُ، ولم تفصح عنها بعدُ!

بدأَ سامر ينظرُ في كلِّ مكانٍ، حتى سقطت عيناه على

أمر غريب؛ اللوحةُ في قاعةِ الكنوز، والتي كانت مُثبَّتةً تحتَ وشمِ المدينةِ، وأسفلَ منها "يحيا الملكُ المُعظَّمُ سامر"، كانت هنا أيضًا!

كيف للعقلِ أن يصدِّقَ كلَّ هذه الأمورِ، أصبحَ الوضعُ يفوقُ الحدَّ!

وجدَ صندوقًا كبيرًا أسفلَ هذه اللوحةِ، فتحَه، فوجدَ فيه كتابًا، فأخذَه سامر، وقامَ بتصفُّحِ أوراقِه، كان بها أسماءُ الملوكِ التي حكمت المدينةَ منذ بدايةِ العهدِ، وكلُّها بها رسائلُ من ملوكِ المدينةِ له!

لا بُدَّ أنَّ العهدَ كان ينتظرُه منذ زمن طويلٍ، والجميعُ يعرفُ وقتَ حكمِه للمدينةِ!

***

حتى الآن يبدو أنَّ أسماءَ الملوكِ المكتوبةَ على الكرسيِّ المصنوع من العظام البشريَّةِ أقلُ بكثيرٍ من الذين حكموا هذه المَدينةِ، فبدأَ يُقلِّبُ الأوراقَ، ويقرأُ الرسائلَ كلَّها،

حتى وقعت عيناه على رسالةٍ خُطَّت بها جملةٌ واحدة: "حبلُ نجاةِ المدينةِ من الهلاكِ معركةٌ وادي نيران".

لم يصدق سامر ما قرأه، وسريعًا، انتقلَ للصفحةِ التاليةِ، كانت بها أسرارٌ كثيرةٌ عن هذا الوادي، فبدأَ يقرأُ؛ ليعرفَ الكثيرَ عن الميامين وبني الدهمان، وعلمَ أنَّهما متمسكَين بهذا الوادي؛ لِعلمِهما أنَّ سامر لا يستطيعُ دخولَه؛ لأنَّ الوادي مشتعلٌ من الداخلِ، لا يهمدُ لهيبُه.

كان سامر يركزُّ في كلِّ أسرار هذا الوادي، فقرأَ أنَّ ملكَ مدينةِ العهودِ لا يستطيعُ أَن يدخلَ هذا الوادي؛ لأنَّه لا زالَ يمتلكُ روحًا بشريَّةً، والميامين تعلمُ هذا، لذلك؛ تختبئُ هناك دائمًا؛ فهو مصدرُ الأمانِ بالنسبةِ لها.

***

كانَ اليأسُ يتملَّكُ من سامر أكثر، ولكنَّه ظلَّ يقرأُ، ولكن، كلُّ الأوراق لا تقولَ خيرًا أبدًا، فصرخَ سامر يئِسًا من كلِّ هذا، ثمَّ تركَ الكتابَ، ووقفَ يتأمَّلُ وشمَ

المدينةِ، كان الدمعُ يسيلُ من عينَيه دونَ أن يشعرَ؛ فكيفَ للإنسانِ أن يخسرَ كلَّ شيءٍ في لحظةٍ واحدةٍ!

وكيفَ للأرواحِ أن تحاربَ، وتنتصرَ دونَ الملكِ والحاكمِ!

كانَ يضربُ يدَه في كلِّ جدارٍ حتى جُرِحَت أناملُه، وبدأت تنزفُ، كانت الدنيا تضيقُ به كالذي قطعَ آلافَ الأميالِ إلى نهرٍ، ولم يجد به ماءً، فلا طاقةَ له بالرجوعِ، ولا رحمةَ له من العطشِ الشديدِ، فصرخَ سامر قائلًا: انتهى الأمرُ لا محالةَ، انتهى الأمرُ!

***

ألقىٰ بظهرِه على الأرضِ يئسًا، حتى أنَّه لا يستطيعُ الخروج من هنا، وما الفائدةُ من الخروج إذًا!

كانَ ينظرُ إلى كلِّ الصخورِ، ويتأمَّلُ كلَّ شيءٍ؛ يحاولُ البحثَ عن أيِّ طريقٍ للخروجِ من هنا، فلا بُدَّ أنَّ هناك أمرًا لا يعرفُه إلى الآنَ، وما دامَ هو الملكُ المنتظَر لهذه

المعركةِ، فكيف له أن يكونَ بعيدًا كلَّ البعدِ هكذا!

كيف للحاكم أن يظلَّ هكذا مكتوفَ الأيدي، وجيشُه يحاربُ من أجلِهَ!

يبدو أنَّ العقلَ البشريَّ لا يحتملُ كلَّ هذه الأسئلة!

حاولَ الوقوفَ مرةً أخرىٰ، ثمَّ بدأ يقرأُ ثانيةً، ولكنَّه لم يصل إلى أيِّ شيء، فعادَ إلى الصندوقِ، ووجدَ ملابسَ مكتوبًا عليها اسمه، كانت حمراءَ اللونِ، جلديَّةً، وسميكةً للغاية، فرفعَها، ووجدَ تحتَها سيفًا آخرُ يحملُ اسم سامر، كانَ لامعًا جدًا، فلا يستطيعُ أحدٌ أن يُطيلَ النظر إليه، وعلى غِمدِه نُقِشَت رسالةٌ: """يحيا الملكُ سامر حاكمُ العهدِ الأبَديِّ".

***

كانَ السيفُ أنيقًا جدًا، كالتحفةِ التي تُزيَّنُ بها الجدرانُ، وما إن بدأ سامر في إخراج السيفِ من الغِمدِ الخاص به حتى شعرَ بهزَّةٍ أسفلَه، وبدأت الرمالُ تتساقطُ فوقَ

رأسِه، فظنَّ أنَّ المكانَ ينهارُ، فحاولَ إخراجَ السيفِ في هدوءٍ، فانشقَّ جزءٌ من الجدارِ، يبدو أنَّ هناك أمرًا ما هنا!

تقدَّمَ سامر خطواتٍ للأمامِ، ولا زالت الرمالُ تتساقطُ ببطءٍ على رأسِه، حتى وصلَ إلى لوحةٍ كبيرةٍ منقوش عليها اسمُ المدينةِ، ووشمُها، وأسفلَ اسم المدينةِ عبارةٌ بينَ نقشَين لوشمِها، كُتبَ فيها: "هي لا تنتهي كالشمسِ، ولا تختفي كالأيامِ، ولا تنحني كالسماءِ، تبقىٰ، ويبقىٰ العهدُ حتى ينتهي الدهرُ".

***

كانَ اسمُ الشيخ خليل مكتوبًا بعد هذه العبارة، ثمَّ اسمُ سامر، كانتَ بدايةُ العهدِ الأبديِّ في أثناءِ حكمِ الشيخِ خليل، وما سامر إلَّا مكمِّلٌ لهذا العهدِ.

كانت هناك كلماتٌ لم يفهمها سامر، قرأَها أكثر من مرة، ولم يفهمْها بعدُ، هي مكتوبةٌ بحروفٍ بسيطة، لكنَّهُ لا يعلمُ المقصودَ منها!

بدأ يبحثُ عن شيءٍ آخر، فوجدَ جملةً صغيرةً، هي عبارةٌ عن تعويذةٍ تُطفئُ نار وادي نيران.

يا للهول!

لقد وجدَ أخيرًا ما يبحثُ عنه!

لكن، من شروطِ نجاحِ هذا الأمرِ أن تُقرأُ الجملةُ أمامَ الوادي، في يوم مُظلم لاَ قمرَ فيه، والأهم من كلِّ هذا أنَّ يحفظَ سامر هذه الكلمات؛ فليسَ معه قلمٌ ولا ورقةٌ؛ ليكتبَها، ولا وقتَ للخروجِ، والعودةِ هنا مرةً أخرىٰ!

ظلَّ سامر يقرؤُها كثيرًا، ولكنَّه خائفٌ أن يخرجَ، فينسىٰ هذه الكلمات، فظلَّ يردِّدُها كثيرًا، حتى تعب.

***

همَّ سامر بالخروجِ كما دخلَ، ومعه السيفُ، فبدأ يزحفُ على بطنِه، وعندما خرجَ، كان الليلُ قد حلَّ على المدينة، لكن، الأمرُ الغريبُ أنَّ الثوبَ الذي كان في

داخلِ الصندوقِ موضوعٌ على كرسيِّه، وحينما نظرَ ثانيةً إلى بابِ الغرفةِ، لم يرَ شيئًا، فنزلَ على قدمَيه، وحاولَ الحفرَ، ولكنَّه لم يجد أيَّ شيءٍ، كأنَّ شيئًا لم يكن!

كانَ القمرُ على وشكِ الاكتمالِ، وهذا يعني أنَّ اليومَ المظلمَ بعد اكتمالِ القمرِ بيومين أو ثلاثةٍ فقط، لذلك؛ عليه أن يُجهِّزَ الكثيرَ من أجلِ هذا اليومِ.

ذهبَ سامر إلى السيدةِ چود في القصرِ، فوجدَها بجانبِ سارة التي تسوءُ حالتُها، فكادَ قلبُه ينفطرُ عليها، فطلبَ من السيدةِ چود الخروجَ؛ للحديثِ معها.

***

سألَها عن ساچر أخيه، وأخبرَها أنَّ المدينةَ سوف تخرجُ إلى وادي نيران خلال أيام، ولكنَّه لا يريدُ قتلَه، ووجودُه خارجَ العهدِ مع الميامين أمرٌ مؤسفٌ.

كانت حزينةً وهي تتحدَّثُ عنه، فقالت: إنَّ ساچرًا لم يكن من الأرواحِ السيئةِ إطلاقًا، ولكن، حبُّ أبيك

الملكِ خليل لك كانَ يثيرُ بداخلِه الكرهَ؛ فهو يظنُّ أنَّ هذا العهدَ هو الأحقُّ به؛ لأنَّه وُلِدَ هنا، ويعلمُ عن المدينةِ ما لا تعلمُه أنت، وخاضَ كثيرًا من الحروبِ مع أبيه، فكانَ الحقُّ معه أحيانًا، ولكنَّنا قد كبرنا على هذا العهدِ، ولا يستطيعُ أحدٌ مخالفتَه؛ ألَّا يحكمَ المدنيةَ إلَّا روحٌ بشريةٌ مثلُك مهما كانَ الأمرُ، والمدينةُ نفسُها ستختارُ حاكمَها دونَ أن نعلمَ؛ فهي لا تخطئُ الاختيار أبدًا.

***

فقال سامر: لا بُدَّ أن ننزلَ إلى الغرفةِ الخاصةِ بي؛ أريدُكِ أن تنظري إلى شيءٍ.

نزلَ الاثنان إلى الأسفل، وكانَ يقفُ رجلٌ ضخمٌ، يلبسُ فوق رأسِه غطاءً كبيرًا، لا يُظهرُ من ملامحِه شيئًا، ولمَّا دخلَ سامر، تحدَّثَ قائلًا: يحيا الملكُ سامر، ثم صمتَ بعد إشارةِ الملكِ سامر له بعدمِ الحديثِ.

أخرجَ سامر السيفَ الذي وجدَه في بطنِ الجبلِ

الأسودِ، فبكت السيدةُ چود بكاءً شديدًا، وقالت: كانَ أبوكَ يبحثُ عن هذا السيفِ طوالَ عمره هنا، فأين وجدتَه يا سامر؟ قال: ليس هذا الأمرُ الأهمَّ الآن، أولًا: ماذا أخبرَكَ الشيخ خليل عن هذا السيفِ؟

قالت: إلى الآن لا تستطيعُ أن تقولَ "أبي"!، فصمتَ سامر، ثمَّ أجابتْه: كانَ يقولُ إنَّ مَن يجد هذا السيف، يمتلكُ قوانينَ هذه المدينةِ، ويستطيعُ أن يُغيِّرَ في عهودِها.

***

هو الآن بينَ يدَيك أنتَ، وبإمكانِك أن تُغيِّرَ من عهودِ المدينةِ ما شئت، ولكن هذا ليس بالأمرِ الهيِّنِ أبدًا.

قال سامر: هل هذا حقيقيٌّ!

قالت: هذا كلامُ أبيك الملكِ خليل، كانَ يتحدَّثُ عن هذا طوالَ الوقتِ، ولكنَّك لا تستطيعُ فعلَ ذلك إلَّا بعد انتصارِ العهدِ الأبديِّ.

فقال سامر: أجل، قريبًا جدًا سيتغيَّرُ الكثيرُ هنا، وسوف أُنصفُ كلَّ مَن ظلمَه العهدُ، ومن بينِهم أخي ساچر.

لمَّا انتهى الحديثُ، أشارَ إليها بالخروج، ثمَّ أغلقَ البابَ؛ كان يبدو أنَّ هناك حديثًا مهمًا بينَه وبينَ هذا الشخصِ الضخم الذي لا يعرفُ أحدٌ مَن هو، ثمَّ خرجَ هذا الرَجلُ سريعًا، كان لا يقفُ، لا يلتفتُ، ثمَّ تبخَّرَ كالدُّخَانِ في الهواءِ.

وبعدها، خرجَ سامر والحارسُ إلى المكانِ الذي تُعدُّ فيه الأرواحُ للحربِ.

***

كان القائدُ الجديدُ شبل يقفُ عاريَ الصدرِ، تبرزُ عروقُه تحتَ الشمسِ، وكانت الأرواحُ تتبارزُ بشراسةٍ، والكلُّ على قلبِ رجلٍ واحدٍ؛ فالأرواحُ أدركت _أخيرًا_ أنَّ الأمرَ لا يتعلَّقُ بانتصارٍ أو هزيمةٍ فقط؛ بل إنَّ الأمرَ

أصبحَ: إمَّا أن تبقىٰ، أو أن تموتَ وأنتَ على قيدِ الحياةِ!

صاحَ الحارسُ في الأرواحِ، فاجتمعوا واقفينَ في صفوفٍ، ثم نظرَ سامر إليهم قائلًا: أنتم الآن تكتبون مصايرَكم، كلُّ روح منكم تكتبُ مستقبلَها في السنواتِ القادمةِ؛ فغدًا سوفَ نخرجُ من هنا لأولِ مرةٍ، سوف نخرجُ؛ كي نحيا، وكي تبقىٰ هذه المدينةُ ملكًا لنا، ويبقىٰ العهدُ.

ثمَّ ظلَّ يردِّدُ هذه الجملة "ويبقىٰ العهدُ"، والأرواحُ تُردِّدُ خلفَه.

كانت نظرةُ الأرواحِ تبعثُ الأملَ في قلبِ سامر، ثمَّ أشارَ إليهم بالانصرافِ، وإكمالِ ما كانوا عليه، فسار وشبلُ قائلًا له: سنخرجُ في صباحِ اليوم التالي، فعليكَ أن تحسمَ الأمورَ.

***

أشارَ شبل برأسِه موافقًا، ولكن، كانَ في عينَيه بعضُ

الأسئلةِ، فصمتَ سامر قليلًا، ثمَّ قال: أعلمُ ما يدورُ في رأسك، ولكنَّ الأمورَ لن تُكشَفَ دُفعةً واحدة، وأنت قائدٌ شجاعٌ يا شبل، فلا تخشَ شيئًا، وإن أتاكَ الموتُ يمشي، فاذهب إليه مُسرعًا.

ثمَّ وضعَ يدَه على كتفِه؛ ليطمئنَه، وغادر.

قالَ الحارس: كيف لك أن تخرجَ بالأرواحِ من المدينةِ يا سيدي!

فضحكَ سامر، وقالَ: أظنُّ أنَّك سمعتَ ما أخبرتُه شبلًا، فهل تريدُ أن أعيدَ ما قلتُه، لكنِّي أظنُّ أنَّك لستَ بهذا الغباءِ!

نظرَ الحارسُ بعينِه إلى الأرضِ، فقال سامر: في نظرتِك هذه الانتصارُ.

تعجَّبَ الحارسُ، ولم يفهم مقصدَ سامر؛ فقد أصبحَ لغزًا لكلِّ أرواح أهلِ المدينةِ، ولكن، كلُّهم واثقون في الملكِ بعد انتصارِه على بني الدهمان دونَ مشقَّةٍ، وهم

يحترمون ذكاءَ ملكِهم الجديدِ، وسامر يحترمُ مدينَته، وكنزَ عمرِه الذي اكتشفَه بعد شقاءٍ وعناءٍ في حياةٍ فارغةٍ من المغامراتِ.

***

عادَ سامر إلى القصرِ، وصعدَ إلى غرفةِ سارة، قبَّلَها، ووضعَ يدَه حولَ كتفَيها؛ يرفعُها لصدره، كانَ يحتضنُها برفقٍ شديدٍ، ثمَّ همسَ في أذنها قائلًا: لا عليكِ حبيبتي؛ سوفَ ينتهي كلُّ شيءٍ غدًا، وغدًا ستعودين كما كنتِ، قمرًا يشقُّ غمامَ الليلِ، وينعكسُ نورُه على أمواجِ البحرِ في هدوءٍ، فتنظرُ إليه النجومُ، ويستمتعُ به العالمُ، سوف تعودُ الابتسامةُ التي تشرحُ الصدورَ، وصوتُك الذي أحببتُه، وأحيا بداخلي راحةً وسعادةً، فلا تقلقي.

قبضت سارة على يدِه، وقالت: أخشى عليك كثيرًا يا سامر؛ فالسيدة چود أخبرتني أنَّ الأمرَ ليسَ سهلًا عليك!

ابتسمَ سامر قائلًا: مَن يُرِدِ القمرَ بجوارِه، فعليه أن يقبلَ بالكثيرِ من العناءِ لأجلِه، وأنتِ تستحقين هذا، بل تستحقين أكثرَ منه يا سارة.

ثمَّ ضمَّها إلى صدرِه مرةً أخرىٰ، وملَّسَ برفقٍ على شعرِها.

***

صعدَ أحدُ عمالِ القصرِ، وأخبرَ سامر أنَّ هناك شخصًا ما يريده في الأسفلِ.

وقتها، كانت السيدةُ چود وصلت، فودَّعَ سامرٌ سارةَ، وما إن وصلَ إلى بابِ الغرفةِ، حتى التفتَ قائلًا لها: لا تُغلقي هذا البابَ أبدًا؛ فسوفَ أعودُ إليكِ بعد النصرِ.

خرجَ سامر، فوجدَ الشخصَ الضخمَ المستور بالكامل بغطاء أسود فلا يرى منه شيء، فلا يُرىٰ منه شيءٌ، ولا نسمعُ منه إلَّا صوتًا غليظًا، فدخلا معًا إلى غرفةِ سامر الخاصةِ تحتَ أنظارِ السيدةِ چود المُتعجِّبة؛ فهي لا تعلمُ

مَن هذا الشخصُ!

بعد قليلٍ، خرجَ سامر والشخصُ من الغرفةِ، وتعانقا بشدةٍ، ثمَّ ذهبَ الشخصُ مسرعًا كعاصفةٍ شديدةٍ يتلاعبُ بها الهواءُ.

كانَ الليلُ على وشكِ أن يغطيَ المدينةَ كلَّها، فهذه آخرُ ليلةٍ للجيشِ هنا، وغدًا، سوف تخرجُ الأرواحُ للحربِ.

ذهبَ سامر إلى الجبلِ الأسودِ، وكانَ ينظرُ إلى المدينةِ من الأعلىٰ نظرةً رُبَّما تكونُ الأخيرة!

***

أتىٰ الحارسُ إلى سامر مُلقيًا التحيَّةَ عليه، ثمَّ انحنىٰ، وأخبرَه أنَّ عليه أن يرتاحَ قليلًا؛ فلديهم يومٌ طويلٌ غدًا.

كانَ سامر هادئًا جدًا، والحارسُ لا يعلمُ من أينَ أتىٰ بهذا الهدوءِ، فقط كانَ ينظرُ إلى المدينةِ، ونقلَ بصرَه إلى السيفِ والثوبِ اللَّذين وجدَهما مع تعويذةِ تغيُّرِ العهدِ،

كان يفكِّرُ ماذا سيفعلُ غدًا بعد الانتصارِ!

سيكونُ بإمكانه أن يُغيِّرَ من قوانين الحياةِ هنا، وهذا ليسَ بالأمرِ الهيِّنُ حقًّا؛ فالأرواحُ تعيشُ على هذه العهودِ منذُ آلاف السنين، ويعلمون أنَّ هناك ملكًا سيأتي بعهدٍ جديدٍ، أو كما عُرفَ هنا بالعهدِ الأبديِّ، وسيكونُ آخرُ تغيُّراتِ العهودِ أن يضعَ قوانينَ تبقى إلى الأبد، ولكنَّه يخشى أن تصيرَ القوانينُ أسوأ، فيُظلَمُ كلُّ مَن عاشَ بعدَه؛ فما هو إلَّا فترةٌ من عمرِ هذه المدينةِ التي تحيا من آلافِ السنين!

ولكن، كانَ الحارسُ محقًّا؛ لا بُدَّ أن يرتاح قليلًا؛ حتى يجهزَ لحربِ غدٍ.

***

سوف أرتاحُ هنا فوقَ الجبلِ الأسودِ، فاستلقيتُ بظهري على الرمالِ، وكنتُ أنظرُ إلى النجوم، فخطرَ في بالي أُميمة، وأحمد، وإياد، وكلُّ مَن كنتُ أَعيشُ بينهم

كسامر، الشاب الطبيعيِّ الذي لا يخشىٰ الحياةَ مهما صار، لقد اشتقتُ حقًّا إلى الجانبِ الآخرِ من حياتي، كانَ كلِّي شوقًا لهم، فمنذُ بدايةِ حكمي لهذه المدينةِ، وأنا منشغلٌ عنهم كثيرًا، ولكن، غدًا: إمَّا العودةُ إليهم، أو البعدُ الذي لا رجعةَ منه.

أغمضتُ عيني، وطلبتُ من الحارسِ أن يذهبَ إلى شبل، ويخبرَه أن يوقفَ كلَّ التدريباتِ، ويطلبَ من الأرواح أن تنامَ جيدًا؛ استعدادًا ليوم غد، وبالفعلِ، ذهبَ الحارسُ، فنمتُ قليلًا، وما هي إلَّا سويعاتٌ وقد استيقظتُ.

كانت الشمسُ على وشكِ الشروقِ، فارتديتُ ثوبي، وحملتُ سيفَ العهدِ الأبديِّ، وحزمتُ غِمدَه على خصري، ثمَّ أمسكتُ العصا بيدي، حينها، كانت نظرتي مختلفةً، وشعوري كذلك؛ فأنا أرتدي هذا الثوبَ الذي وجدتُه أخيرًا في بطنِ الجبلِ الأسودِ، والآن: إمَّا أن أكتبَ

البدايةَ، أو تكونَ النهايةُ.

***

رفعتُ عصا العهدِ الأبديِّ معلنًا الحربَ، فتحوَّلت المدينةُ كما تحوَّلت في أولِ حرب لي هنا؛ تبدَّلَت كلُّ الألوانِ إلى الأسودِ، وتغيَّرت الأرواحُ من الهيئةِ البشريةِ إلى أرواح مدينةِ العهودِ، كانت الأرواحُ تتجمَّعُ سريعةً عند قمةِ الجبلِ الأسودِ، لم يكن يبدو عليهم الخوفُ؛ بل كانت كأنَّها مُتعطِّشةٌ لهذه الحرب؛ حتى تُحسَمَ كلُّ الأمورِ في المدينةِ، يبدو أنَّ الفتىٰ الصغيرَ قد عززَّ بداخلِهم روحَ الشجاعةِ.

كانَ الحارسُ يقفُ بجواري، وكانت الأرواحُ كلُّها تقفُ مستعدَّةً للانطلاقِ خارجَ المدينةِ، وبدءِ الحربِ مع الميامين وبني الدهمانِ، ولكنَّ الملكَ لم يُعطِ الأمرَ بالانطلاقِ بعدُ!

مرَّ الوقتُ، والشمسُ قد أشرقَت، ولم يحدثُ شيءٌ،

فكانت الأرواحُ تنظرُ إلى أعلىٰ الجبل، وتتساءلُ: ماذا بعدُ، حتى قطعَ وقوفَهم هذا شخصٌ ضخمٌ، يرتدي ثوبًا أسودَ، ويسيرُ بين الأرواحِ، وهو الشخصُ الذي كانَ يقابلُ الملكَ سامر في غرفتِه الخاصة!

***

وما إن وصلَ إلى تجمُّع الأرواحِ، رفعَ سيفَه، فكانت الأرواحُ في ذهولٍ ممَّا يحدثُ، وكانَ الأمرُ الذي لا يصدِّقُه أحدٌ على الإطلاقِ حينها نطقَ شبل قائلًا: كيف هذا!

هذا سيفُ قائدِ الجيشِ المعتصم!

فنزعَ الرجلُ الغطاءَ عن وجهِه، وقد كانَ المعتصمُ حقًّا!

ارتفعَ صوتُ الملكِ سامر، وأمرَ الحارسَ أن يرفعَ المعتصمَ إلى قمةِ الجبل، فانتشلَه من بينِ الأرواحِ التي كانت في دهشةٍ كبيرةٍ ممَّا يحدثُ!

كانت السيدةُ چود ضمنَ الأرواحِ التي جاءت؛ لتُشاهدَ خروجَ الأرواحِ للحربِ أولَ مرةٍ خارجَ أسوارِ المدينةِ، فتذكَّرت هيئةَ هذا الرجلِ، وعلمت أنَّ المعتصمَ هو مَن كانَ يتردَّدُ على سامر كثيرًا في القصر.

همسَ المعتصمُ في أذنِ الملكِ بحديث لا يسمعُه غيرُهما، فنظرَ الملكُ إلى جيشِ الأرواحِ، ثمَّ أشارَ بعصا العهدِ الأبديِّ، فصارَ قسمَين.

كانَ قسمٌ به القائدُ شبل، ومعه ربعُ الجيشِ أو أقلُّ.

***

قالَ الملكُ للقائدِ شبل: هذا جيشُك، عليك حمايتَه وتأمينَه، وأنتَ الآن سوف تقودُهم للخروجِ من هنا إلى وادي نيران.

تحكَّمت شجاعةُ شبل في شخصيَّتِه، ولم يسأل حتى أن كيف له بهذا العددِ أن يحاربَ الميامين وبني الدهمان! هو لم يفعل إلَّا ما أمرَ به الملكُ سامر.

هبطَ الملكُ والمعتصمُ من أعلى الجبلِ، وأشارَ سامر بعصا العهدِ الأبديِّ إلى الجبلِ، فانشقَّ، وبدأَ شبل يخرجُ بالمجموعةِ الخاصةِ به إلى خارجِ المدينةِ تحت أنظارِ الأرواحِ المُدهَشةِ؛ فكيفَ لشبل -هذا الفتى الصغيرِ- أنَ يحاربَ لأولِ مرةٍ خارجَ المدينةِ!

وكيفَ يكونُ النصرُ بهذا العددِ الصغيرِ!

وما إن خرجت آخرُ روح من شقِّ الجبلِ حتى أشارَ الملكُ سامر إلى المعتصمِ، فنادىٰ باقي الأرواحِ آمرَهم أن يصطفُّوا جيدًا للسيرِ.

أشارَ الملكُ سامر بعصا العهدِ الأبديِّ، فأُغلِقت فُرجةُ الجبلِ التي خرجَ منها شبل وجيشُه الصغير.

***

أخبرَ المعتصمُ الأرواحَ أنَّهم سوف يذهبونَ إلى الأرضِ الغربيَّةِ للمدينة، والتي كانت بها الحربُ الأولىٰ مع بني الدهمان.

كانت الأرواحُ تسيرُ دونَ علم، ولكنَّها على يقينٍ أنَّ هناك أمرًا لا يعلمُه سوىٰ الملكِ والقائدِ المعتصم، وحينما وصلوا إلى هناك، طلب منهم القائدُ الاختباءَ في الأنفاقِ التي حفرَها من قبلُ، كانت لا تزالُ على الهيئة التي تركوها عليها، فلم يكن في وسعِ الأرواحِ إلَّا تنفيذُ أوامرِ القائدِ.

في الوقتِ نفسه، تقدَّمَ شبل بجيشِه إلى وادي نيران، كانَ يسيرُ والأسئلةُ تملأُ ذهنَه، ولكن، لم يكن في وسعِه إلَّا الصياحُ بصوتِ عالٍ؛ حتى لا يُقلِّلَ من عزيمةِ الأرواحِ خلفَه.

كانَ يظنُّ أنَّ القوةَ ليست في الكثرةِ، ولكنَّها في قلوبِ الأرواحِ التي معه، وفي حبِّهم للعهدِ، ورغبتِهم في الحفاظِ على مدينتِهم وعهدِهم الجديدِ، كانَ يسيرُ بالأرواح في سرعة، وكأنَّه ينتظرُ هذه الحربَ، وكانت كلَّما قلَّتَ عزيمةُ الأرواحِ، أيقظتها صيحةُ شبل.

***

كانَ جيشُ المعتصم في الأرضِ الغربيَّةِ للمدينةِ مختبئًا في الأنفاقِ القديمةِ، والملكُ ينظرُ من بعيدٍ ناحيةَ الجبلِ الأسودِ، كأنَّه ينتظرُ شيئًا أن يأتيَ.

مرَّ الوقتُ، هناك أرواحُ تنتظرُ، لا تعلمُ ماذا سيحدثُ، وأرواحٌ أخرىٰ تسعىٰ، ولا تعلمُ ماذا سيكون مصيرُها، وفي كلِّ الأحوالِ، يؤمنون أنَّ لا فشلَ بعد المحاولة، والفشلُ الأكبرُ أن تقبلَ بحياتِك هكذا، كالأنعامِ لا تملكُ من أمرِ نفسِك شيئًا.

ظهرَ غبارٌ كثيفٌ في الأعلى، وهناك أصواتٌ تأتي من خلفِ الجبلِ، فأشارَ الملكُ إلى المعتصم، فطلبَ من الأرواحِ أن تبقىٰ ساكنةً.

بدأَ الغبارُ يزدادُ، ومعه الأصواتُ، وأرواحُ أهلِ المدينةِ تعلمُ أنَّ هذه أصواتُ أرواحِ الميامين؛ فهم يعرفون نغماتِهم وأصواتِهم في الحربِ، وأيضًا، قرعَ الطبولِ الذي

يشبهُ صوتَ الصراخِ، وها قد جاءت اللحظةُ الحاسمة.

***

جاءت اللحظةُ التي ينتظرُها سامر منذ أيامٍ طويلةٍ، وبدأت أرواحُ الميامين تظهرُ، وفي مقدمةِ الجَيش كان القائدُ الميمون ودهمان يركبان فوق حيوانٍ يشبهُ الضبعَ، ولكنَّه أكبرُ قليلًا، وكانَ معهما شخصٌ آخرُ، ومن النظرةِ الأولى، عرفَ سامر أنَّ هذا أخوه؛ للشَّبه بينهم، لكنَّه في عهدِ المدينةِ خائنٌ، لذلك؛ لا يستطيعُ أن يعبرَ هذا الجبلَ.

بدأَ جيشُ الميامين ينزلُ إلى الأرضِ الغربيَّةِ، ويقفُ فوقَ الجبلِ، لا يستطيعُ أن يخطو داخلَ هذه المدينةِ مرة أخرى، كانت الميامين تُزيدُ من صياحِها فرحين؛ ظنًّا منهم أنَّ الأمرَ قد حُسِمَ، ولكنَّ القصةَ لم تبدأ بعدُ؛ فبعد لحظاتٍ سوف تتغيَّرُ كلُّ الأمورِ.

أصبحَ الميامين مطمئنينَ في الأرضِ الغربيةِ، وساحر ينظرُ إليهم من فوقِ حيوانِه، كأنَّه يقولُ في نفسِه: هذا هو

الحكمُ البشريُّ قد أطاحَ بالمدينةِ كلِّها.

***

فوجئَ الجميعُ بصياحِ سامر الذي لا يعلو عليه صياحٌ، ومن بعدِه صياحُ أرواحَ أهلِ المدينةِ، وكانَ سامر يصرخُ قائلًا: لا تجعلوا اليومَ لأرواحِهم سبيلًا للهروبِ.

كانت الأنفاقُ محفورةً بشكلٍ دائريٍّ، ولم يعلم قائدُ الميامين أنَّهم حبسوا أنفسَهم في دائرةِ ملكٍ عظيم كسامر، كان سيفُه يخرجُ من غِمدِه مُصدرًا صوتًا يرعبُهم، وكان يطيحُ بأرواحِ الكثيرِ من الميامين بضربةٍ واحدة! وقتها ظهرت أرواحَ الجبلَ الأسود كانت تفوق أرواح أهل المدينة حجمًا وقوة. كانت لا تدع سبيلًا للهروب وتبطش في أرواح الميامين وبني الدهمان بكل قوة لا أحد يهرب من قبضتهم.كانت أرواح أهل المدينة كلما تنظر اليهم وإلى ملكهم تطمئن..

كانت أرواحُ أهلِ المدينةِ كلَّما تنظرُ إلى ملكِها، تطمئنُّ،

ويعلو صياحُها، ومن ناحيةٍ أخرىٰ، فقد امتلأت أرواحُ الميامين رعبًا، فأرواحُ أهلِ المدينةِ تنهشُهم دونَ رحمةٍ، يبدو أنَّ النصرَ بإيديهم الآنَ.

كانَ شبلٍ يسمعُ صياح الملكِ سامر وهو في طريقِه، فوقفَ مُفكِّرًا: أيعودُ للمدَينةِ؟

ولكن، لم يبقَ إلَّا القليلُ على وادي نيران، فإمَّا أن أعودَ بالنصرِ، أو لا أعودُ أبدًا.

الحربُ هناك ممتعةٌ للنظرِ؛ فكانَ سامر يختلفُ عن كلِّ حكامِ هذه المدينةِ، فهذا هوَ حاكم العهدِ الأبديِّ حقًّا.

***

لم يكن لأرواحِ الميامين ملجأً سوىٰ سيوفِ أرواحِ أهلِ المدينةِ؛ فدماؤهم تُغطِّي حشائشَ الأرضِ الخضراءِ، وسامر لم يكتفِ بنحرِ العشراتِ منهم؛ فلا زالَ صياحُه يعلو، ولم يكن يخشىٰ شيئًا، حتى وصلَ لقائد أرواح الميامين على حيوانِه الذي يكبرُ الضبعَ، ويفوقُه قوةً،

فنظرَ إليه متجاهلًا كلَّ ما حولَه، ولم يكن سيفُه قد جفَّ من الدماءِ بعدُ، فاتَّجهَ نحوَه سريعًا، ثمَّ ضربَ الحيوانَ بعصا العهدِ الأبديِّ، فسقطَ ومَن عليه أرضًا، وما إن قامَ رافعًا رأسَه حتى جعلَه سامر على الأرض بضربةٍ قويةٍ من سيفِه، ثمَّ صاحَ صيحةً عاليةً تنخلعُ لهاَ القلوبُ؛ فقد سمعَها شبل بوضوحٍ، وكان قد بدأ الخوفُ يتسلَّلُ إلى جيشِه.

لمَّا وصلَ صياحُ سامر إلى وادي نيران، خرجَ طائرُ العهد بأعداد كبيرةٍ، وقد أخبرَته عنه السيدةُ جود؛ إذ أنَّه وسيلةُ نجاةِ أميمة وسارة ممَّا أصابَهم.

كانَ شبل ينظرُ إليهم، ولأولِ مرةٍ، بدأَ الخوفُ يتسلَّلُ إلى قلبه!

كانَ هذا المشهدُ عظيمًا في عينِ أحدهم، ومرعبًا في عيونِ آخرين!

***

أصبحت هذه الطيورُ تحتَ سيطرةِ الملكِ سامر، وأرواحُ الميامين تحاولُ أن تهربَ من هذا الحصارِ، ولكن لا مفرَّ، اليومَ سينتهي كلُّ شيء؛ فمَن أرادَ النصرَ والبقاءَ، كان عليه أن يُفكِّرَ أولًا: هل سيجعلُه ذكاؤه ينتصرُ أم لا!

أشارَ الملكُ سامر إلى الحارس أن يأخذَ واحدًا من هذه الطيورِ، وينحرَها فوقَ وجهِ أميمة؛ حتى تُشفىٰ من حملِها في روح من أرواحِ الميامين، وبالفعل، أخذَ الحارسَ واحدًا، وذهبَ سريعًا.

كانت أميمة جالسةً، وأحمد جوارَها، كان يبدو عليها التعبُ؛ فهي الآن في شهرِها السابع.

كانَ لا بُدَّ للحارسِ من حيلةٍ؛ حتى ينحرَ هذا الطائرَ على وجهِها، فلم يكنَ منه إلَّا أنْ ظهرَ بهيئةٍ مرعبةٍ، فغُشيَ عليهما، فقامَ بنحرِه، ثمَّ تحوَّلَ إلى امرأةٍ عجوز وبدأ ينظفَ آثار الدماء من علَى وجهها حتى لا يبدو الأمر غريب وبعدها ايقظها؛ فقد علمَ بأنَّ أميمة ستضعُ مولودَها

الآن.

***

وأخبرَهما أنَّه سمعَ صوتَ صراخِهما من الخارج، ووجدَ البابَ مفتوحًا، ولأنَّه بهيئةِ امرأةٍ، فلم يشكَ كلاهما في أيِّ شيءٍ.

بدأت آلامُ الولادةِ تظهرُ على أُميمة، وهذا ما جعل أحمد يظهر عليه الإرتباك هو لا يعلم ما يجب أن يقوم به أرسال إلى أياد أن يصطحب والد أميمة إلى المشفى وبعد أن أوصلهم الحارس إلى المشفى وهو على هيئة إمرأة عجوز غادر إلى المدينه مسرعًا.

كانت الحربُ في لحظاتِها الأخيرة؛ فلم يبقَ من الميامين سوىٰ القليلِ جدًا، وبني الدهمان أَظنُّهم قد قُتِلوا جميعًا عدا قائدَهم دهمان؛ وقد كانَ الملكُ سامر لا يريدُ قتلَه، فكان يمنعُ عنه سيوفَ أرواح أهلِ المدينةِ التي كلَّما أحسَّت أنَّها تقتربُ من النصرِ، يَخرجُ صياحُها عاليًا.

وفي الجانبِ الآخر، كانَ شبل قد وصلَ إلى وادي نيران، ولكنَّه لم يجد شيئًا، وكانت أحدُ الأرواحُ تريدُ أن تتحدَّثَ، فأذِنَ لها، فقالت: أيُّها القائدُ، هذه الصيحةُ صيحةُ نصر، فيبدو أنَّ هناك أمرًا لا نعلمُه، لذلك؛ علينا العودةُ إلى المدينةِ سريعًا، ولكي ندخلَ، لا بُدَّ أن نعودَ من الأرضِ الغربيةِ.

***

لم يبقَ من أرواح الميامين سوى ما يقربُ الخمسين، فأمرَ سامر أرواحَ المدينةِ أن يدعوهم يهربون، ويمسكوا بقائد بني الدهمان، ويكبِّلوه، ولكنَّ هذا الأمرَ كان غريبًا.

كانَ ساچر ينظرُ إلى الحربِ في استحقار كبيرٍ لنفسه؛ فلم يكن يتوقَّعُ هذا، وكانَ المعتصمُ ينظرُ إليه، ويريدُ قتلَه؛ جزاءً لخيانتِه، فمنعَه الملكُ سامر عن ذلك.

كانَ شبل عائدًا إلى المدينةِ كشهابٍ مشتعل يسقطُ من السماءِ، وحينما اقتربت الأرواحُ التي تركَها الملكُ سامر؛

لتهربَ بعيدًا عن المدينةِ، انقضَّ عليهم كنسرٍ جائعٍ يحاولُ قتلَهم، كانَ يبدو عليه تعطُّشُه للحرب، فحملَ السيفَ مُصدرًا صيحةً عاليةً سمعَها سامر، فبدَأَ يضحكُ.

عادَ الحارسُ إلى سامر، وأخبرَه أنَّ زوجتَه ستلدُ اليومَ، فقال: كانَ الأمرُ يستحقُّ العناءَ.

كانت السيدةُ چود تنظرُ من شرفةِ القصرِ؛ لكي تتابعَ كلَّ جديدٍ في المدينةِ، وحينما دخلت غرفةَ سارة، كانت الإجابةُ.

***

لقد وجدَت سارة في أجملِ هيئتِها، عادت فيها الحياةِ مجددًا، وكانت جميلةً حقًّا، ففرحت السيدةُ چود، وعلمت أنَّه النصرُ، فأيقظَت سارة، وما إن نظرَت لنفسِها حتى علمت أنَّ سامرًا قد جلبَ لها النصرَ، بلَ جلبَ لها الحياةَ أيضًا؛ فلقد أنقذَ ما تبَقّىٰ منها، كما أنقذَ مدينتَها أيضًا، يبدو أنَّ نصرَ معركةِ اليومِ يختلفُ عن أيِّ نصرٍ حقَّقته

المدينةُ سابقًا.

عادَ سامر بكلِّ الأرواحِ إلى قمةِ الجبلِ الأسودِ، بينما كانت أرواح الجبل الأسَود تدخل بينَ الصخور كما تدخل الأسماك المياة في مشهد لم تراه أروح أهل المدينة من قبل حتى سامر لم يرى هذا المشهد حقيقي غير الأن ولكن كان ينظر إليه بين الوحات ولكن لم يكن يعرف أنه سيكون بتلك العظمة والقوة، وكان عليه أن يخبرَهم بما دارَ؛ فهناك العديدُ من علاماتِ الاستفهام، وما إن تجمَّعت الأرواحُ تحتَ الجبلِ، حتى أتى شبل ورجالُه، فضحكَ الملكُ مرةً أخرىٰ، ثمَّ قال: يا أصحابَ العهودِ، لم يكَن المعتصمُ خائنًا أبدًا، فهو أوفىٰ أرواحِ هذه الأرضِ، ولكن، من المكرِ أن تحاربَ عدوَّك بنفسِ سياسةِ قبيلةِ الميامين، لذلك؛ جعلتُ من المعتصم يدًا تُحرِّكُ جيشَهم حيثُ أريدُ، فكنتُ أخبرُه ما يقولُه لَهم، فيترتَّبُ عليه ما كنتُ أنتظرُه، وقد حدثَ ما خطَّطتُ له؛ فلقد استغلوا

كرهَ ساچر أخي لي، وأوهموه بأنَّه أحقُّ بهذه المدينةِ، فعرضوا عليه أن يكونَ معهم، وبعدَ النصر، يكونَ له حكمُ المدينةُ، ولكن، كيفَ يكونُ حاكمَ المدينةِ وأنا هنا!

***

أخبرَهم المعتصمُ أنَّنا سوف نذهبُ إلى وادي نيران، ونحاربُهم خارجَ المدينةِ، وهم كانوا على يقين أنَّنا بهذا الغباءِ، ولكنَّ الأمرَ لم يكن كما ظنُّوا؛ فهناكَ بعضُ الأمورِ التي كانت مُعلَّقةً حتى آخرِ لحظةِ، وهكذا تكونُ الحروبُ، لا بُدَّ أن تكونَ فيها أمورٌ لا يعلمُها غيرُك، وحينما يأتي القرارُ، لا تكن مترددًا؛ فبعضُ الأمورِ لا تحتملُ التأخيرَ.

أتىٰ الملكُ بقائدِ قبيلةِ بني الدهمان، وأخبرَ شبلًا أن يقطعَ رأسَه بسيفِه قائلًا له: لم أبخلِ عليك بشيءٍ يا شبل؛ تركتُ لك بعضَ الأرواحِ؛ لتقتلَها، والآن، أتركُ لك قائدَهم، واعلم أنه سيكونُ لك شأنٌ كبيرٌ في هذه المدينةِ

قريبًا.

أمَّا الآن، فهنيئةٌ لكم فرحةُ النصرِ.

ثمَّ نزعَ سيفَه من غِمدِه، فارتفعت صيحاتُهم جميعًا، فودَّعَ سيفَه، ووضعَه على قمةِ الجبلِ الأسودِ، فعادت المدينةُ إلى طبيعتِها.

***

ذهبَ سامر سريعًا إلى القصرِ، ثمَّ صعدَ إلى سارة في شوقٍ كبيرٍ، وحينها، سمعَ الأمرَ المدهشَ؛ صوتَ طفلٍ يبكي، وماً إن وصلَ إلى غرفتِها حتى خرجَت له السيدةُ چود بالبُشرىٰ، فدخلَ سريعًا، وكانت سارة كالقمرِ، لقد مرَّ وقتٌ صعبٌ للغايةِ حتى تعودَ هذه النظرةُ علَى وجهِ الملك، فاحتضنَها برفقٍ، وبينَ أحضانِهما مولودُهما الجميل.

ولأنَّ سارة زوجةُ الملكِ، فهي الروحُ الوحيدةُ القادرةُ على الإنجابِ في هذه المدينةِ، فلقد حدثَ معه مثلُ ما

حدثَ للشيخِ خليل.

كانت سارة تبتسمُ وهي تقولُ: كنتُ أعلمُ أنَّ الملكَ لن يتركَ حبيبتَه هكذا، دعني في حضنِك لحظاتٍ؛ فهنا _بينَ ذراعيك_ أماني ومأمني.

كان سامر ينظرُ إلى ابنِه في تعجُّب وحبٍّ كبيرين، وحينها، تذكَّرَ أُميمة، فلا بُدَّ أنَّها وضعت مولودَهما أيضًا، وبالتأكيد، هو يشبهُ ابنَه الذي هنا، فقال: لقد فرحَ سامر بعد كثيرٍ من الحبِّ والعناءِ.

الحياةُ لا تعني لبعضِ الناس الكثيرَ، ولكن، مَن جعلَ الخيرَ والحبَّ هما حياتُه، فلا بُدَّ أنَّ الأمرَ حينها يختلفُ.

***

قبَّلَ رأسَ سارة، ثمَّ خرجَ، وقرأَ العهدَ، فعادَ إلى واقعِه، وحياتِه البشريةِ. وقتها أدرك أن الأحتفال بين أهله في الواقع أهم. هو لا يريد أن يعيد ما حدث بين أمه وأبيه الشيخ خليل في الماضي. هنا في واقعي حياة جميلة

لا أريد أن أخسره ابدًا وكذالك العهد الأبدي سيكون بداية حياة أجمل هناك ولكن ستكون تلك اللحظات لأميمة وهي وصحبي وكل من كان لهم حبًا في قلبي في واقعي بعد أن عادة إلى الواقع توجهت إلى المشفىٰ سريعًا، حيثُ لقاءٌ آخرُ بشوقِ آخر، وعندما وجدَ أخاه، لم يستطِع أن يحبسَ دموعَه، فعانَقَه عناقًا حارًا؛ فقد كانَ يحتاجُ لمثلِ هذا العناقِ في الأيامِ الماضيةِ.

كانَ أحمد يبكي بينَ أحضانِه قائلًا: لقد أصبحتَ أبًا يا أخي!

كانَ سامر يبكي مرَّةً فرحًا، وأخرىٰ شوقًا لأهلِه، فدخلَ إلى أميمة _صاحبةِ الحبِّ المستقِرِّ في قلبِه_، كانت نائمةً، فظلَّ ينظرُ لها، ويتذكَّرُ اللحظاتِ التي جمعتهما معًا، منذُ أحبَّها وهو لم يُوفِها حقَّها من الثناءِ _وإن قالَ في حبِّها ما لم يُقَل من قبلُ_؛ فهي كالشمسِ التي تُشرقُ دونَ أن تنتظرَ عائدًا من الذين وهبتهم الحياةَ.

قبَّلَ رأسَها، وكانَ ابنُهما نائمًا جوارَها لا يتحرَّكُ، كأنَّه ـمثلُ أبيه ـ مُكتَفٍ بهذه الفرحةِ، ولا يريدُ شيئًا آخر.

***

مَن سعىٰ إلى شيءٍ بصدقٍ، فلن يخيبَ سعيُه، ولن ينهالَ العرقُ من جبينِه دونَ مقابلٍ؛ فلن تدعَك الدنيا تسيرُ دونَ وصولٍ؛ فلا بُدَّ أن تكونَ هناكَ نهايةٌ، وما أجملَ النهايةَ حينَ تكونُ بهذا القدرِ من الجمالِ!

لم أعد أخشىٰ شيئًا بعد الآن؛ فأنا أمتلكُ كلَّ شيءٍ، لم أخسر حياتي هنا، ولم أفقد مكانتي هناك؛ فأنا هناك ملكُ العهدِ الأبديِّ.

بإمكانكَ صنعُ الكثيرِ إن صدَّقتَ نفسَك، واغتنمتَ الفرصةَ؛ فالحياةُ لن تُعيدَ إليك الفرصَ مرةً أخرىٰ، وبإمكانِك أن تصبحَ البطلَ إن بدأتَ السعيَ.

إنَّ المدينةَ قد أضافت إليَّ الكثيرَ، وأهمُّهم ألَّا أفصحَ عن كلِّ شيء، أو أخفي كلَّ شيءٍ؛ فهناك أمورٌ إن ظهرت

كلُّها، فسدَت، مثلَ سرِّ حاكمِ المدينةِ هذا.

والآن، قد علمتُ لمَ لم يغيِّر الشيخُ خليل حياتَه هنا بثروتِه كحاكمٍ للمدينةِ!

***

إنَّ الثروةَ الحقيقةَ أن تكونَ رجلًا في عينِ نفسِك.

أن تعلمَ ماذا تريدُ، وماذا تفعلُ من أجلِه.

أن ترضىٰ بكلِّ شيءٍ، وتكونَ على يقينٍ أنَّ كلَّ الأمورِ تحملُ الخيرَ لك.

الآن، لقد استوعبتُ الأمرَ جيدًا؛ فالشيخُ خليل لم يكن بحاجةٍ إلى الذهبِ، بل كانَ مُكتفيًا بأن يكونَ ملكًا لهذه المدينةِ، وأنا لم أسعَ إلى شيءٍ آخر.

لقد اكتفيتُ بكوني ملكًا للعهدِ الأبديِّ، وأن أكونَ في واقعي البسيطِ سامرًا الذي يملكُ محلَ العطارة.

هنا الملكُ سامر، حيثُ لا هزيمةَ، ولا مفرَّ.

هنا يبقىٰ العهدُ الأبديُّ إلى آخرِ الأمد.

***

عادت الحياةُ إلى طبيعتِها، وعادَ سامر إلى واقعِه وحياتِه، ولم يتخلَّ عن كونِه ملكًا لمدينةِ العهودِ التي عمَّ فيها السلامُ؛ لكن، سنواتُ التعبِ قد انتهت، فليسترِح قليلًا بعدَ كلِّ هذا العناءِ.

هنا، تتوقَّفُ سطورُ العهدِ الأبديِّ، ولم تعد هناك فرصةٌ أخرى؛ ليغتنمَها الآخرون.

إن أحببتَ المدينةَ، أخبرَتك عن أسرارِها، وهذا ما حدث، فلا تنسَ أبدًا.

في دمائِك انتصارُك، وفي ضعفِك قوتُك.

لا تخشَ الموتَ، إن لم يكن هناك سبيلٌ للحريةِ غيرَه.

ونقفُ هنا؛ حيثُ النهاية.